محمد الماغوط

الأعمال الشعرية

- حزن في ضوء القمر
- غرفة بملايين الجدران
- الفرح ليس مهنتي

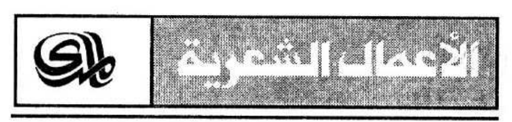


الأعمال الشعرية

حـزن في ضـوء القــمـر

غـرفـة بملايين الجـدران

الفــرح ليس مـــهـنـتي



Author :Muhammed Al-Maghout
Title : The Poetics Works
Sadness under the Moon Light
Room with Millions Walls
The Joyful is not my Career
Al- Mada P.C.
First Edition : 1998
Second Edition: 2006
Copyrights © Al- Mada

اسم المؤلف : محمد الماغوط
عنوان الكتاب : **الأعمال الشعرية**
حزن في ضوء القمر
غرفة بملايين الجدران
الفرح ليس مهنتي
الناشر : المدى
الطبعة الاولى : ١٩٩٨
الطبعة الثانية : ٢٠٠٦
الحقوق محفوظة

دار المدى للثقافة والنشر

سورية - دمشق ص. ب.: ٨٢٧٢ او٧٣٦٦ -تلفون: ٢٣٢٢٢٧٥ -٢٣٢٢٢٧٦-فاكس: ٢٣٢٢٢٨٩

Al Mada Publishing Company F.K.A. - Damascus - Syria
P.O.Box . : 8272 or 7366 .-Tel: 2322275 - 2322276 , Fax: 2322289
www.almadahouse.com E-mail:al-madahouse@net.sy

لبنان - بيروت-الحمراء-شارع ليون -بناية منصور-الطابق الأول - تلفاكس: ٧٥٢٦١٦-٧٥٢٦١٧
E-mail:al-madahouse@idm.net.lb

العراق - بغداد- أبو نواس- محلة ١٠٢- زقاق ١٣-بناء ١٤١
مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
تلفون: ٧١٧٠٣٩٥-٧١٧٠٥١٣ فاكس: ٧١٧٥٩٤٣
almadapaper.com
almada112@yahoo.com almada119@hotmail.com

الأعمال الشعرية

حزن في ضوء القمر-غرفة بملايين الجدران-الفرح ليس مهنتي



حُزن في ضَوءِ القمر

طفولة بريئة وإرهاب مسن

مأساة محمد الماغوط أنه ولد في غرفة مسدلة الستائر اسمها الشرق الأوسط . ومنذ مجموعته الأولى « حزن في ضوء القمر » وهو يحاول إيجاد بعض الكوى أو توسيع ما بين قضبان النوافذ ليرى العالم ويتنسم بعض الحرية . وذروة هذه المأساة هي في إصراره على تغيير هذا الواقع ، وحيداً ، لا يملك من أسلحة التغيير إلا الشعر . فبقدر ما تكون الكلمة في الحلم طريقاً إلى الحرية نجدها في الواقع طريقاً الى السجن . ولأنها كانت دائماً إحدى أبرز ضحايا الاضطرابات السياسية في الوطن العربي ، فقد كان هذا الشاعر يرتعد هلعاً إثر كل انقلاب مرَّ على الوطن ، وفي أحدها خرجت أبحث عنه ، كان في ضائقة قد تجره إلى السجن أو ما هو أمرّ منه ، وساعدني إنتقاله الى غرفة جديدة في إخفائه عن الأنظار ، غرفة صغيرة ذات سقف واطئ حشرت حشراً في خاصرة أحد المباني بحيث كان على من يعبر عتبتها أن ينحني وكأنه يعبر بوابة ذلك الزمن .

سرير قديم ، ملاءات صفراء ، كنبة زرقاء طويلة سرعان ماهبط مقعدها ، ستارة حمراء من مخلفات مسرح قديم . في هذا المناخ عاش محمد الماغوط أشهراً عديدة .

لنفترض أن الشرق العربي بقعة سوداء على خريطة الماضي والحاضر ، فما يكون لون المستقبل ؟ ولنبحث بعد ذلك عن مصير الشعر والشعراء من خلال ذلك الظلام الدامس . وإذا ما استعملنا ضوء الذاكرة وجدنا أن محمد الماغوط في وجه من الوجوه جزء من المستقبل ، لذا كان لابد من حمايته من

غباء الحاضر . ألا يكون مستقبل شعرنا رماداً لو تركنا الشعراء للسلطة ؟ ولأن هذا الشاعر محترق بنيران الماضي والحاضر ، لجأ إلى نيران المستقبل وهو جزء منها بحثاً عن وجود آخر وكينونة جديدة . بدت الأيام الأولى كاللعبة البطولية لنا نحن الاثنين . ولكن لما شحب لونه ومال إلى الاصفرار المرضي وبدأ مزاجه يحتد بدت لي خطورة اللعبة . كان همي الكبير أن يتلاشى الاعصار دون ان يخنق غباره « النسر » .

كنت أنقل له الطعام والصحف والزهور خفية . كنا نعتز بانتمائنا للحب والشعر كعالم بديل متعال على ما يحيط بنا . كان يقرأ مدفوعاً برغبة جنونية . وكنت أركض في البرد القارس والشمس المحرقة لأشبع له هذه الرغبة ، فلا ألبث أن أرى أكثر الكتب أهمية وأغلاها ثمناً ممزقة أو مبعثرة فوق الأرض مبقعة بالقهوة حيث ألتقطها وأغسلها ثم أرصفها على حافة النافذة حتى تجف . كان يشعل نيرانه الخاصة في روائع أدبية بينما كانت الهتافات في الخارج تأخذ من بعيد شكلاً معادياً .

وقبل ذلك كان محمد الماغوط غريباً ووحيداً في بيروت . وعندما قدمه أدونيس في أحد اجتماعات مجلة « شعر » المكتظة بالوافدين ، وقرأ له بعض نتاجه الجديد الغريب بصوت رخيم دون أن يعلن عن اسمه ، وترك المستمعين يتخبطون (بودلير ؟ . . رامبو ؟ . .) لكن أدونيس لم يلبث أن أشار الى شاب مجهول ، غير أنيق ، أشعث الشعر وقال : « هو الشاعر . . » لاشك أن تلك المفاجأة قد أدهشتهم وانقلب فضولهم إلى تمتمات خفيضة . أما هو ، وكنت أراقبه بصمت ، فقد ارتبك واشتد لمعان عينيه . بلغة هذه التفاصيل وفي هذا الضوء الشخصي نقرأ غربة محمد الماغوط . ومع الأيام لم يخرج من عزلته بل غير موقعها من عزلة الغريب الى عزلة الرافض .

من يدرس حياة هذا الشاعر يرى أن فترات الخصب عنده تتواقت مع الأزمات . « فالعصفور الأحدب » وأعمال أخرى مازالت مخبأة في الأدراج ، وقسماً كبيراً من « الفرح ليس مهنتي » جاءت نتيجة انفجار بشري داخلي عنيف حدث في أواخر ذلك الشتاء . في هذه الحميا أخذ يرى علائق الأشياء

بعضها بالبعض الآخر . وإن هذه الارتباطات قد تنقلب الى علائق خطرة فيما إذا تضخمت من طرف واحد تاركة الطرف الآخر يرتجف دون حول أو قوة . ومحمد الماغوط يبحث عن الحماية منذ صغره . لكن كلما التجأ الى ركن رآه خانقاً كالسجن أو واهياً كالورق . أراد أن يدخل كون الشعر حيث لا سلطة إلا للمتفوقين . والبيئة المضطربة المتقلبة التي عاش في مناخها ، كانت تقف كالسوط في وجهه لترده باستمرار الى الداخل فيعتصم بمخيلته . في تلك المؤامرة الكبيرة التي حاكتها البيئة ضده عظمت براءته وقوي صفاؤه . وقد أعطته تلك الاقامة السرية فرصة كبيرة للتأمل الذهني . وتحت تلك العدسات كان الوجود الانساني يدخل سلسلة من التحولات . سكب أحماضه المأساوية على الفوضى البشرية ، فبدا الوجود الواحد يحمل في أعماقه وجودات لا حصر لها . وهذا ما دفعه لأن يطرق ألواناً أخرى غير الشعر .

في الشعر يمتطي حلمه ويغيب . ليس بمعنى التخلي الشعوري عن واقعه ، وإنما بمعنى الطموح الملح لخلق وجود بديل عنه . وجود آخر يهيم معه في سفره . غرفة الشعر غرفة لينة ، واسعة ، فضفاضة . تنتقل كلما أشار اليها الشاعر . أما الآن فلا مفر له وهو داخل تلك الجدران المتسخة من مواجهة الواقع . لذا انعكست أوضاعه على أبطال « العصفور الأحدب » سجنهم ، خلقهم مشوهين وبأمزجة حادة ، متقلبة وشائكة . المسافة في المسرحية لا تنقلهم نحو أحلامهم أو نحو الأفضل وإنما تحاصرهم . وعندما امتلكوا الحرية تغيرت مرتفعاتهم الانسانية . دخلوا في علائق جديدة . شكلوا مرة أخرى لعبة الحاكم والمحكوم التي ما استطاعوا أن يذهبوا خارج حدودها بالرغم من الحريات التي امتلكوها فيما بعد . في « العصفور الأحدب » لم يلتق محمد الماغوط بجمهوره بمعنى المواجهة . التقى به في حالة الجذب والقيادة . ولأن الزمن بينه وبين الآخرين كان شاسعاً أنكرت كعمل مسرحي وسميت قصيدة . في الحقيقة كان في « العصفور الأحدب » قائداً يسير خلفه جيش مهترئ ، منكوب أرمد . لذا ارتد القائد في « المهرج » وفضح تلك المخازي .

يعتبر محمد الماغوط من أبرز الثوار الذين حرروا الشعر من عبودية الشكل . دخل ساحة العراك حاملاً في مخيلته ودفاتره الأنيقة بوادر قصيدة النثر كشكل مبتكر وجديد وحركة رافدة لحركة الشعر الحديث . كانت الرياح تهب حارة في ساحة الصراع ، والصحف غارقة بدموع الباكين على مصير الشعر حين نشر قلوعه البيضاء الخفاقة فوق أعلى الصواري . وقد لعبت بدائيته دوراً هاماً في خلق هذا النوع من الشعر ، إذ ان موهبته التي لعبت دورها بأصالة وحرية كانت في منجاة من حضانة التراث وزجره التربوي . وهكذا نجت عفويته من التحجر والجمود . وكان ذلك فضيلة من الفضائل النادرة في هذا العصر .

سنية صالح

حزن في ضوء القمر

أيها الربيعُ المقبلُ من عينيها
أيها الكناري المسافرُ في ضوء القمر
خذني إليها
قصيدةَ غرامٍ أو طعنةَ خنجر
فأنا متشرّد وجريح
أحبُّ المطر وأنين الأمواج البعيدة
من أعماق النوم أستيقظ
لأفكر بركبة امرأة شهيةٍ رأيتها ذات يوم
لأعاقرَ الخمرة وأقرضَ الشعر
قل لحبيبتي ليلى
ذاتِ الفم السكران والقدمين الحريريتين
انني مريضٌ ومشتاقٌ إليها
انني ألمح آثار أقدام على قلبي .
دمشقُ يا عربةَ السبايا الورديه
وأنا راقدٌ في غرفتي
أكتبُ وأحلم وأرنو الى الماره
من قلب السماء العاليه

أسمع وجيب لحمك العاري .
عشرون عاماً ونحن ندقُّ أبوابك الصلده
والمطر يتساقط على ثيابنا وأطفالنا
ووجوهِنا المختنقةِ بالسعال الجارح
تبدو حزينةً كالوداع صفراءَ كالسلّ
ورياحُ البراري الموحشه
تنقلُ نواحنا
إلى الأزقة وباعة الخبزِ والجواسيس
ونحن نعدو كالخيولِ الوحشية على صفحات التاريخ
نبكي ونرتجف
وخلف أقدامنا المعقوفه
تمضي الرياحُ والسنابلُ البرتقاليه . . .
وافترقنا
وفي عينيكِ الباردتين
تنوح عاصفةٌ من النجوم المهروله
أيتها العشيقةُ المتغضّنة
ذات الجسد المغطَّى بالسعال والجواهر
أنتِ لي
هذا الحنينُ لك يا حقوده !

قبل الرحيل بلحظات
ضاجعتُ امرأة وكتبتُ قصيده
عن الليل والخريف والأمم المقهوره

وتحت شمس الظهيرة الصفراء
كنت أسندُ رأسي على ضلْفات النوافذ
وأترك الدمعه
تبرق كالصباح كامرأة عاريه
فأنا على علاقة قديمة بالحزن والعبوديه
وقربَ الغيوم الصامتة البعيده
كانت تلوح لي مئاتُ الصدور العاريه القذره
تندفع في نهر من الشوك
وسحابةٌ من العيون الزرقِ الحزينه
تحدقُ بي
بالتاريخ الرابضِ على شفتيّ .
يا نظراتِ الحزن الطويله
يا بقع الدم الصغيره أفيقي
إنني أراكِ هنا
على البيارق المنكّسه
وفي ثنياتِ الثياب الحريريه
وأنا أسير كالرعد الأشقرِ في الزحام تحت سمائك الصافيه
أمضي باكياً يا وطني
أين السفنُ المعبأةُ بالتبغ والسيوف

والجاريةُ التي فتحتْ مملكةً بعينيها النجلاوين
كامرأتين دافئتين
كليلة طويلةٍ على صدر أنثى أنت يا وطني

إنني هنا شبحٌ غريبٌ مجهول
تحت أظافري العطريه
يقبعُ مجدك الطاعن في السن
في عيون الأطفال
تسري دقاتُ قلبك الخائر
لن تلتقي عيوننا بعد الآن
لقد أنشدتُكَ ما فيه الكفايه
سأطل عليك كالقرنفلةِ الحمراء البعيده
كالسحابةِ التي لا وطن لها

وداعاً أيتها الصفحات أيها الليل
أيتها الشبابيكُ الأرجوانيه
انصبوا مشنقتي عاليةً عند الغروب
عندما يكون قلبي هادئاً كالحمامه . .
جميلاً كوردةٍ زرقاء على رابيه ،
أودُ أن أموت ملطخاً
وعيناي مليئتان بالدموع
لترتفعَ إلى الأعناق ولو مرة في العمر
فانني مليء بالحروفِ ، والعناوين الداميه
في طفولتي ،
كنت أحلم بجلبابٍ مخططٍ بالذهب
وجواد ينهب بي الكروم والتلال الحجرية
أما الآن

وأنا أتسكَّعُ تحت نور المصابيح
أنتقل كالعواهرِ من شارعٍ الى شارع
أشتهي جريمةً واسعه
وسفينةً بيضاء ، تقلُّني بين نهديها المالحين ،
الى بلادٍ بعيده ،
حيث في كلِّ خطوةٍ حانةٌ وشجرةٌ خضراء ،
وفتاةٌ خلاسيه ،
تسهرُ وحيدة مع نهدها العطشان .

جنازة النسر

أظنُّها من الوطن
هذه السحابةُ المقبلةُ كعينين مسيحيتين ،
أظنُّها من دمشق
هذه الطفلةُ المقرونةُ الحواجب
هذه العيونُ الأكثر صفاءً
من نيرانٍ زرقاءَ بين السفن .
أيها الحزن . . يا سيفيَ الطويل المجعّد
الرصيفُ الحاملُ طفله الأشقر
يسأل عن وردةٍ أو أسير ،
عن سفينةٍ وغيمة من الوطن . . .
والكلمات الحرّة تكتسحني كالطاعون
لا امرأة لي ولا عقيده
لا مقهى ولا شتاء
ضمني بقوة يا لبنان
أحبُّكَ أكثر من التبغِ والحدائق
أكثر من جنديٍّ عاري الفخذين
يشعلُ لفافته بين الأنقاض

ان ملايين السنين الدمويه
تقف ذليلةً أمام الحانات
كجيوشٍ حزينةٍ تجلس القرفصاء
ثمانية شهور
وأنا ألمس تجاعيد الأرضِ والليل
أسمع رنينَ المركبه الذليله
والثلجَ يتراكمُ على معطفي وحواجبي
فالترابُ حزين ، والألمُ يومضُ كالنسر
لا نجومَ فوق التلال
التثاؤبُ هو مركبتي المطهمةُ ، وترسي الصغيره
والأحلام ، كنيستي وشارعي
بها أستلقي على الملكاتِ والجواري
وأسيرُ حزيناً في أواخر الليل .

أغنية لباب توما

حلوه عيونُ النساء في باب توما
حلوه حلوه
وهي ترنو حزينةً الى الليل والخبز والسكارى
وجميلةٌ تلك الأكتافُ الغجريةُ على الأسرّه
لتمنحني البكاء والشهوة يا أمي
ليتني حصاةٌ ملونةٌ على الرصيف
أو أغنيةٌ طويلةٌ في الزقاق
هناك في تجويفٍ من الوحل الأملس
يذكرني بالجوع والشفاه المشرده ،
حيث الأطفالُ الصغار
يتدفقون كالملاريا
أمام اللّه والشوارع الدامسه
ليتني وردةٌ جوريةٌ في حديقة ما
يقطفني شاعرٌ كئيب في أواخر النهار
أو حانةٌ من الخشب الأحمر
يرتادها المطرُ والغرباء
ومن شبابيكي الملطّخة بالخمر والذباب

تخرج الضوضاءُ الكسوله
الى زقاقنا الذي ينتجُ الكآبةَ والعيون الخضر
حيث الأقدامُ الهزيله
ترتعُ دونما غايه في الظلام . . .
أشتهي أن أكون صفصافة خضراء قرب الكنيسه
أو صليباً من الذهب على صدر عذراء ،
تقلي السمك لحبيبها العائد من المقهى
وفي عينيها الجميلتين
ترفرفُ حمامتان من بنفسج
أشتهي أن أقبّل طفلاً صغيراً في باب توما
ومن شفتيه الورديتين ،
تنبعثُ رائحةُ الثدي الذي أرضَعَه ،
فأنا مازلتُ وحيداً وقاسياً
أنا غريبٌ يا أمي .

في المبغى

من قديم الزمان ،
وأنا أرضعُ التبغَ والعار
أحبُّ الخمرَ والشتائم
والشفاه التي تقبّل ماري
ماري التي كان اسمها أمي .
حارّة كالجرب
سمراء كيومٍ طويل غائم
أحبُّها ، أكره لحمها المشبعَ بالهمجية والعطر ،
أربضُ عند عتبتها كالغلام
وفي صدري رغبةٌ مزمنه
تشتهي ماري كجثة زرقاء
تختلج بالحلي والذكريات .
من قديم الزمان . . أنا من الشرق . .
من تلك السهول المغطاةِ بالشمسِ والمقابر
أحب التسكعَ والثيابَ الجميله
ويدي تتلمس عنقَ المرأة البارده
وبين أهدابها العمياء

ألمح دموعاً قديمةً تذكرني بالمطر
والعصافير الميتة في الربيع
كنت أرى قارةً من الصخر
تشهقُ بالألم والحرير
والأذرعِ الهائجة في الشوارع .
فأنتم يا ذوي الأحذية اللامعه
والسلاميات المحشوةِ بالإثم والخواتم
ماذا تعرفون عن ماري الصغيرةِ الحلوه
ذات الوجه الضاحك كقمرٍ من الياسمين
ماذا تعرفون عن لحمها الذي يتجشَّأُ العطر والأصابع
حيث الشفاهُ المقرورةُ الخائفه
تنهمر عليها كالجراد
وهي ترنو إلى الطرقات الحالكه
بعد منتصف الليل
والنوافذ المفروشة بالزجاج والدم
قابعة كالحثالة في أحشاء الشرق
تأكلُ وتنام
وتموت قبلةً إثر قبله
تحلم بملاءةٍ سوداء
ونزهةٍ في شارع طويل
ممتلئٍ بالضجَّة والدفاتر والأطفال
وثغرُها الطافحُ بالسأم
يكدح طيلة الليل لتأكل ماري

الأفران مطفأةٌ في آسيا
والطيورُ الجميلة البيضاء
ترحل دونما عودة في البراري القاحله .

المسافر

بلا أمل . .
وبقلبي الذي يخفقُ كوردةٍ حمراءَ صغيره
سأودِّع أشيائي الحزينةَ في ليلةٍ ما . .
بقع الحبر
وآثار الخمرة الباردة على المشمّع اللزج
وصمت الشهور الطويله
والناموس الذي يمصُّ دمي
هي أشيائي الحزينه
سأرحلُ عنها بعيداً . . بعيداً
وراء المدينة الغارقةِ في مجاري السلّ والدخان
بعيداً عن المرأة العاهره
التي تغسل ثيابي بماء النهر
وآلاف العيون في الظلمه
تحدق في ساقيها الهزيلين ،
وسعالها البارد ، يأتي ذليلاً يائساً
عبر النافذةِ المحطَّمه
والزقاقُ المتلوي كحبلٍ من جثث العبيد

سأرحلُ عنهم جميعاً بلا رأفه
وفي أعماقي أحمل لك ثورةً طاغيةً يا أبي
فيها شعبٌ يناضل بالتراب ، والحجارة والظمأ
وعدة مرايا كئيبه
تعكس ليلاً طويلاً ، وشفاهاً قارسةً عمياء
تأكل الحصى والتبن والموت
منذ مدة طويلة لم أرَ نجمةً تضيء
ولا يمامةً شقراء تصدحُ في الوادي
لم أعدْ أشربُ الشاي قرب المعصره
وعصافيرُ الجبال العذراء ،
ترنو إلى حبيبتي ليلى
وتشتهي ثغرها العميقَ كالبحر
لم أعد أجلس القرفصاء في الأزقه
حيث التسكع
والغرام اليائس أمام العتبات .
فارسل لي قرميدةً حمراء من سطوحنا
وخصلةَ شعرٍ من أمي
التي تطبخ لك الحساء في ضوء القمر
حيث الصهيلُ الحزين
وأعراسُ الغجر في ليالي الحصاد
بعْ أقراط أختي الصغيره
وارسل لي نقوداً يا أبي
لأشتري محبره

وفتاة ألهث في حضنها كالطفل
لأحدثك عن الهجير والتثاؤب وأفخاذ النساء
عن المياهِ الراكدةِ كالبول وراء الجدران
والنهود التي يؤكل شهدُها في الظلام
فأنا أسهرُ كثيراً يا أبي
أنا لا أنام . .
حياتي ، سوادٌ وعبوديةٌ وانتظار .
فاعطني طفولتي . .
وضحكاتي القديمة على شجرةِ الكرز
وصندلي المعلّقَ في عريشة العنب ،
لأعطيك دموعي وحبيبتي وأشعاري
لأسافرَ يا أبي .

الشتاء الضائع

بيتُنا الذي كان يقطنُ على صفحةِ النهر
ومن سقفه المتداعي
يخطُرُ الأصيل والزنبقُ الأحمر
هجرْتُه يا ليلى
وتركتُ طفولتي القصيره
تذبلُ في الطرقات الخاويه
كسحابةٍ من الوردِ والغبار
غداً يتساقط الشتاءُ في قلبي
وتقفز المتنزهاتُ من الأسمالِ والضفائر الذهبيه
وأجهشُ ببكاءٍ حزين على وسادتي
وأنا أرقبُ البهجة الحبيبه
تغادرُ أشعاري إلى الأبد
والضبابُ المتعفّنُ على شاطئ البحر
يتمدَّدُ في عيني كسيلٍ من الأظافرِ الرماديه
حيثُ الرياحُ الآسنه
تزأرُ أمام المقاهي
والأذرعُ الطويلةُ ، تلوحُ خاويةً على الجانبين

يطيبُ لي كثيراً يا حبيبة ، أن أجذبَ ثديك بعنف
أن أفقد كآبتي أمام ثغرك العسلي
فأنا جارحٌ يا ليلى
منذ بدءِ الخليقةِ وأنا عاطلٌ عن العمل
أدخِّنُ كثيراً
وأشتهي أقربَ النساء إليَّ
ولكم طردوني من حاراتٍ كثيره
أنا وأشعاري وقمصاني الفاقعة اللون

غداً يحنُّ إليَّ الأقحوان
والمطرُ المتراكمُ بين الصخور
والصنوبرةُ التي في دارنا
ستفتقدني الغرافات المسنّه
وهي تئنُّ في الصباح الباكر
حيث القطعان الذاهبةُ إلى المروج والتلال
تحنُّ إلى عينيَّ الزرقاوين
فأنا رجلٌ طويلُ القامه
وفي خطواتي المفعمةِ بالبؤس والشاعريه
تكمن أجيالٌ ساقطةٌ بلهاء
مكتنزةٌ بالنعاسِ والخيبة والتوتر
فاعطوني كفايتي من النبيذ والفوضى
وحرية التلصلصِ من شقوق الأبواب
وبنيّةً جميله

تقدم لي الورد والقهوة عند الصباح
لأركضَ كالبنفسجة الصغيرة بين السطور
لأطلقَ نداءاتِ العبيد
من حناجر الفولاذ .

رجل على الرصيف

نًصفُهُ نجوم
ونصفه الآخرُ بغايا وأشجارٌ عاريه
ذلك الشارعُ المنكفئُ على نفسه كخيطٍ من الوحل
وراء كل نافذه
شاعرٌ يبكي ، وفتاةٌ ترتعش ،
قلبي يا حبيبةُ ، فراشةٌ ذهبيه ،
تحوِّم كئيبة أمام نهديك الصغيرين .

كنتِ يتيمةً وذات جسدٍ فوّار
ولأهدابك الصافيةِ ، رائحة البنفسجِ البرّي
عندما أرنو الى عينيك الجميلتين ،
أحلم بالغروب بين الجبال ،
والزوارقِ الراحلةِ عند المساء ،
أشعرُ أن كل كلماتِ العالم ، طوعَ بناني .

فهنا على الكراسي العتيقه
ذاتِ الصرير الجريح ،

حيث يلتقي المطر والحب ، والعيون العسليه
كان فمك الصغير ،
يضطرب على شفتي كقطراتِ المطر
فترتسمُ الدموعُ في عيني
وأشعر بأنني أتصاعد كرائحة الغابات الوحشيه
كهدير الأقدام الحافيةِ في يوم قائظ .

لقد كنتِ لي وطناً وحانه
وحزناً طفيفاً ، يرافقني منذ الطفوله
يومَ كان شعرك الغجري
يهيمُ في غرفتي كسحابه . .
كالصباح الذاهب الى الحقول .
فاذهبي بعيداً يا حلقاتِ الدخان
واخفقْ يا قلبي الجريح بكثره . .
ففي حنجرتي اليوم بلبلٌ أحمرُ يودُّ الغناء

أيها الشارع الذي أعرفه ثدياً ثدياً ، وغيمة غيمه
يا أشجار الأكاسيا البيضاء
ليتني مطرٌ ذهبي
يتساقط على كل رصيفٍ وقبضةِ سوط
أو نسيمٍ مقبلٌ من غابة بعيده
لألملم عطر حبيبتي المضطجعة على سريرها
كطير استوائي حنون

ليتني أستطيع التجول
في حارات أكثرَ قذارة وضجه
أن أرتعش وحيداً فوق الغيوم .

لقد كانت الشمس
أكثر استدارةً ونعومة في الأيام الخوالي
والسماء الزرقاء
تتسلل من النوافذ والكوى العتيقه
كشرانقَ من الحرير
يوم كنا نأكل ونضاجعُ ونموتُ بحرية تحت النجوم
يوم كان تاريخنا
دماً وقاراتٍ مفروشه بالجثث والمصاحف .

تبغ وشوارع

شعركِ الذي كان ينبضُ على وسادتي
كشلالٍ من العصافير
يلهو على وساداتٍ غريبه
يخونني يا ليلى
فلن أشتري له الأمشاط المذهّبه بعد الآن
سامحيني أنا فقيرٌ يا جميله
حياتي حبرٌ ومغلفاتٌ وليل بلا نجوم
شبابي باردٌ كالوحل
عتيقٌ كالطفوله
طفولتي يا ليلى . . ألا تذكرينها
كنت مهرجاً . .
أبيع البطالة والتثاؤبَ أمام الدكاكين
ألعبُ الدّحل
وآكل الخبز في الطريق
وكان أبي ، لا يحبني كثيراً ، يضربني على قفاي كالجارية
ويشتمني في السوق
وبين المنازل المتسلخةِ كأيدي الفقراء

ككل طفولتي
ضائعاً . . ضائعاً
أشتهي منضدةً وسفينة . . لأستريح
لأبعثر قلبي طعاماً على الورق

في البساتين الموحله . . كنت أنظمُ الشعر يا ليلى
وبعد الغروب
أهجر بيتي في عيون الصنوبر
يموت . . يشهق بالحبر
وأجلسُ وحيداً مع الليل والسعال الخافت داخل الأكواخ
مع سحابة من النرجس البرّي
تنفض دموعها في سلال العشبِ المتهادية
على النهر
هدية لباعة الكستناء
والعاطلين عن العمل على جسر فكتوريا .
هذا الجسرُ لم أره منذ شهورٍ يا ليلى
ولا أنت تنتظرينني كوردةٍ في الهجير
سامحيني . . أنا فقيرٌ وظمآن
أنا انسانُ تبغٍ وشوارع وأسمال .

جفاف النهر

صاخبٌ أنا أيها الرجلُ الحريري
أسيرُ بلا نجومٍ ولا زوارق
وحيد وذو عينين بليدتين
ولكنني حزينٌ لأن قصائدي غدت متشابهه
وذات لحن جريح لا يتبدّل
أريد أن أرفرفَ ، أن أتسامى
كأميرٍ أشقر الحاجبين
يطأ الحقول والبشريه .

وطني . . أيها الجرسُ المعلّقُ في فمي
أيها البدويُّ المشعثُ الشعر
هذا الفمُ الذي يصنع الشعر واللذه
يجب أن يأكلَ يا وطني
هذه الأصابعُ النحيلة البيضاء
يجب أن ترتعش
أن تنسج حبالاً من الخبز والمطر .

لا نجومَ أمامي
الكلمةُ الحمراء الشريدة هي مخدعي وحقولي .
كنت أودُّ أن أكتب شيئاً
عن الاستعمارِ والتسكع
عن بلادي التي تسير كالريح نحو الوراء
ومن عيونهاالزرق
تتساقطُ الذكرياتُ والثيابُ المهلهله
ولكنني لا أستطيع
قلبي باردٌ كنسمةٍ شماليه أمام المقهى
إن شبحَ تولستوي القميء ،
ينتصبُ أمامي كأنشوطةٍ مدلاة
ذلك العجوز المطوي كورقةِ النقد
في أعماق الروسيا .
لا أستطيع الكتابةَ ، ودمشقُ الشهيه
تضطجعُ في دفتري كفخذين عاريين .

يا صحراءَ الأغنية التي تجمع لهيب المدن
ونواحَ البواخر
لقد أقبلَ والليلُ طويلاً كسفينة من الحبر
وأنا أرتطمُ في قاع المدينه
كأنني من وطنٍ آخر
وفي غرفتي الممتلئة بصور الممثلين وأعقابِ السجائر
أحلمُ بالبطولة ، والدم ، وهتاف الجماهير

وأبكي بحرارة كما لم تبكِ امرأة من قبل
فاهبطْ يا قلبي
على سطحٍ سفينةٍ تتأهب للرحيل
إن يدي تتلمس قبضة الخنجر
وعيناي تحلقان كطائرٍ جميلٍ فوق البحر .

الغرباء

قبورنا معتمةٌ على الرابيه
والليل يتساقطُ في الوادي
يسيرُ بين الثلوج والخنادق
وأبي يعود قتيلاً على جواده الذهبي
ومن صدره الهزيل
ينتفض سعالُ الغابات
وحفيفُ العجلات المحطّمه
والأنينُ التائهُ بين الصخور
ينشدُ أغنيةً جديدةً للرجل الضائع
للأطفال الشقر والقطيع الميت على الضفة الحجريه .

أيتها الجبالُ المكسوةُ بالثلوج والحجاره
أيها النهرُ الذي يرافق أبي في غربته
دعوني أنطفئ كشمعةٍ أمام الريح
أتألّم كالماء حول السفينه
فالألم يبسط جناحه الخائن
والموتُ المعلقُ في خاصرة الجواد

يلج صدري كنظرةِ الفتاة المراهقه
كأنين الهواءِ القارس .

الخطوات الذهبية

قابلةٌ للموتِ تلك الجباه السكَّريه
قابلة لأن تنشد وتبتسم
تلك الشفاه الأكثر ليونة من العنبِ الخمري .
من رغوة النبيذ المتأججِ على خاصرة عذراء
قصتُها تبدأ الليله
أو صباحَ غد
حيث الغيومُ الشتائيةُ الحزينه
تحمل لي رائحة أهلي وسريري
والسهراتِ المضيئه بين أشجار الصنوبر .

آه كم أود أن أكون عبداً حقيقياً
بلا حبٍّ ولا مال ولا وطن
لي ضفيرةٌ في مؤخرة الرأس
وأقراطٌ لامعةٌ في أذنيّ
أعدو وراءَ القوافل
وأسرجُ الجياد في الليالي الممطره
وعلى جلدي الأسود العاري

يقطرُ دهنُ الاوز الأحمر
وتنثني ركب الجواري الصغيرات
إنني أسمعُ نواحَ أشجارٍ بعيده
أرى جيوشاً صفراء
تجري فوق ضلوعي .

يقولون ، إن شعركَ ذهبيٌّ ولامعٌ أيها الحزن
وكتفيك قويان ، كالأرصفه المستديره
لفَّني يا حبيبي
لفني أيها الفارسُ الوثني الهزيل
إنني أكثر حركه
من زهرة الخوخ العاليه
من زورقين أخضرين في عيني طفله .
أمام المرآة أقفُ حافياً وخجولاً
أتأملُ وجهي وأصابعي
كنسرٍ رمادي تَعِس
أحلم بأهلي واخوتي
بلون عيونهم وثيابهم وجواربهم .

من رأى ياسمينةً فارعةً خلف أقدامي ؟
من رأى شريطةً حمراء بين دفاتري ؟
إنني هنا فناءٌ عميق
وذراعٌ حديديةٌ خضراء

تخبطُ أمام الدكاكين
والساحات الممتلئة بالنحيب واللذّه
إنني أكثر من نجمةٍ صغيرة في الأفق
أسير بقدمين جريحتين
والفرحُ ينبض في مفاصلي
إنني أسيرُ على قلب أُمّه .

جناح الكآبة

مخذولٌ أنا لا أهل ولا حبيبه
أتسكعُ كالضباب المتلاشي
كمدينةٍ تحترقُ في الليل
والحنين يلسع منكبيّ الهزيلين
كالرياح الجميله ، والغبار الأعمى
فالطريقُ طويله
والغابةُ تبتعدُ كالرمح .
مدّي ذراعيك يا أمي
أيتها العجوزُ البعيدةُ ذات القميص الرمادي
دعيني ألمس حزامك المصدّف
وأنشج بين الثديين العجوزين
لألمس طفولتي وكآبتي .
الدمعُ يتساقط
وفؤادي يختنق كأجراسٍ من الدم .
فالطفولة تتبعني كالشبح
كالساقطة المحلولة الغدائر .

الرجل الميت

أيتها الجسورُ المحطَّمة في قلبي
أيتها الوحولُ الصافيةُ كعيون الأطفال
كنا ثلاثه
نخترق المدينةَ كالسرطان
نجلسُ بين الحقول ، ونسعلُ أمام البواخر
لا وطنَ لنا ولا أجراس
لا مزارعَ ولا سياط
نبحثُ عن جريمةٍ وامرأة تحت نور النجوم
وأقدامُنا تخبُ في الرمال
تفتحُ مجاريرَ من الدم
نحن الشبيبة الساقطه
والرماح المكسورة خارج الوطن
من يعطينا امرأةً بثياب قطنية حمراء ؟
من يعطينا شعباً أبكماً نضربه على قفاه كالبهائم ؟
لنسمعَ تمزُّق القمصان الجميله
وسقسقةَ الهشيم فوق البحر
لنسمعَ هذا الدويّ الهائل

لستةِ أقدام جريحة على الرصيف
حيث مئةُ عام تربضُ على شواربنا المدمَّاة
مئة عام والمطر الحزين يحشرجُ بين أقدامنا .

بلا سيوفٍ ولا أمهات
وقفنا تحت نور الكهرباء
نتثاءبُ ونبكي
ونقذف لفائفنا الطويلةَ باتجاه النجوم
نتحدثُ عن الحزن والشهوه
وخطواتِ الأسرى في عنقِ فيروز
وغيوم الوطن الجاحظه
تلتفتُ إلينا من الأعالي وتمضي . .
يا ربّ
أيها القمرُ المنهوك القوى
أيها الإلهُ المسافرُ كنهدٍ قديم
يقولون أنك في كل مكان
على عتبة المبغى ، وفي صراخِ الخيول
بين الأنهار الجميله
وتحت ورقِ الصفصاف الحزين
كن معنا في هذه العيون المهشمه
والأصابع الجرباء
أعطنا امرأة شهية في ضوء القمر
لنبكي

لنسمعَ رحيل الأظافر وأنين الجبال
لنسمعَ صليل البنادق من ثدي امرأة .
ما من أمةٍ في التاريخ
لها هذه العجيزةُ الضاحكه
والعيونُ المليئةُ بالأجراس .

لعشرين ساقطة سمراء ، نحملُ القمصان واللفائف
نطلّ من فرجات الأبواب
ونرسل عيوننا الدامعة نحو موائد القتلى
لعشرين غرفة مضاءةٍ بين التلال
نتكيءُ على المدافع
ونضع ذقوننا اللامعة فوق الغيوم .
ابتسمْ أيها الرجلُ الميت
أيها الغرابُ الأخضرُ العينين
بلادُك الجميلةُ ترحل
مجدك الكاذبُ ينطفئُ كنيران التبن
افتح ساقيك الجميلتين . . لنمضي . .
لنسرع إلى قبورنا وأطفالنا
المجدُ كلماتٌ من الوحل
والخبزُ طفلةٌ عاريةٌ بين الرياح .

يا قلبي الجريح الخائن
أنا مزمارُ الشتاء البارد

ووردةُ العار الكبيره
تحت ورق السنديان الحزين
وقفتُ أدخن في الظلام
وفي أظافري تبكي نواقيس الغبار
كنت أتدفقُ وأتلوى
كحبلٍ من الثريات المضيئة الجائعه
وأنا أسير وحيداً باتجاه البحر
ذلك الطفل الأزرق الجبان
مستعداً لارتكاب جريمة قتل
كي أرى أهلي جميعاً وأتحسسهم بيدي
أن أتسكعَ ليلةً واحده
في شوارعِ دمشق الحبيبه .

يا قلبي الجريح الخائن
في أظافري تبكي نواقيسُ الغبار .
هنا أريد أن أضعَ بندقيتي وحذائي
هنا أريد أن أحرقَ هشيم الحبر والضحكات
أوربا القانية تنزفُ دماً على سريري
تهرولُ في أحشائي كنسرٍ من الصقيع
لن نرى شوارع الوطن بعد اليوم
البواخرُ التي أحبها تبصقُ دماً وحضارات
البواخر التي أحبها تجذبُ سلاسلها وتمضي
كلبوةٍ تجلد في ضوء القمر

يا قلبي الجريح الخائن
ليس لنا إلا الخبز والأشعار والليل
وأنت يا آسيا الجريحه
أيتها الوردةُ اليابسةُ في قلبي
الخبز وحده يكفي
القمح الذهبيُّ التائهُ يملأ ثديبك رصاصاً وخمراً .

الليل والأزهار

كان بيتنا غاية في الاصفرار
يموتُ فيه المساء
ينام على أنين القطارات البعيده
وفي وسطه
تنوح أشجارُ الرمَّان المظلمةُ العاريه
تتكسَّر ولا تنتج أزهاراً في الربيع
حتى العصافير الحنونه
لا تغرد على شبابيكنا
ولا تقفز في باحة الدار .
وكنت أحبكِ يا ليلى
أكثر من اللّه والشوارع الطويله
وأتمنى أن أغمسَ شفتيك بالنبيذ
وألتهمك كتفاحةٍ حمراء على منضده .

ولكنني لا أستطيع أن أتنهَّدَ بحريه
أن أرفرفَ بك فوق الظلام والحرير
انهم يكرهونني يا حبيبه

ويتسربون الى قلبي كالأظافر
عندما أريد أن أسهرَ مع قصائدي في الحانه
يريدونني أن أشهر الكلمه
أمام الليل والجباه السوداء
أن أجلد حروفي بالقملِ والغبار والجرحى
إنني لا أستطيعُ يا حبيبه
وفؤادي ينبضُ بالعيون الشهل
والسهرات الطويلة قرب البحر
أن أبني لهم امبراطورية ترشحُ بالسعالِ والمشانق
أنا طائرٌ من الريف
الكلمة عندي أوزةٌ بيضاء
والأغنيةُ بستانٌ من الفستق الأخضر

حريق الكلمات

سئمتك أيها الشعر ، أيها الجيفةُ الخالده
لبنان يحترق
يثب كفرس جريحة عند مدخلِ الصحراء
وأنا أبحثُ عن فتاة سمينه
أحتكُّ بها في الحافله
عن رجلٍ عربي الملامح ، أصرعه في مكانٍ ما .
بلادي تنهار
ترتجفُ عاريةً كأنثى الشبل
وأنا أبحثُ عن ركنٍ منعزل
وقرويةٍ يائسة ، أغرّر بها .

يا ربة الشعر
ببلادٍ خرساء
تأكل وتضاجعُ من اذنيها
أستطيع أن أضحك ، حتى يسيل الدم من شفتيَّ

أنا الزهرة المحاربه ،
والنسرُ الذي يضرب فريسته بلا شفقه .

أيها العرب ، يا جبالاً من الطحين واللذَّه
يا حقول الرصاص الأعمى
تريدون قصيدةً عن فلسطين ،
عن الفتحِ والدماء ؟
أنا رجلٌ غريبٌ لي نهدان من المطر
وفي عينيَّ البليدتين
أربعةُ شعوبِ جريحة ، تبحث عن موتاها .
كنت جائعاً
وأسمع موسيقى حزينه
وأتقلب في فراشي كدودة القز
عندما اندلعت الشرارة الأولى .

أيتها الصحراء . . إنك تكذبين
لمن هذه القبضةُ الأرجوانيه
والزهرةُ المضمومةُ تحت الجسر ،
لمن هذه القبورُ المنكّسة تحت النجوم
هذه الرمالُ التي تعطينا
في كل عام سجناً أو قصيده ؟
عاد البارحةَ ذلك البطل الرقيق الشفتين
ترافقه الريحُ والمدافع الحزينه

ومهمازه الطويل ، يلمع كخنجرين عاريين
أعطوه شيخاً أو ساقطه
أعطوه هذه النجوم والرمال اليهوديه .

هنا . . .
في منتصف الجبين
حيث مئاتُ الكلمات تحتضر
أريد رصاصةَ الخلاص
يا إخوتي
لقد نسيت حتى ملامحكم
أيتها العيونُ المثيرة للشهوة
أيها الله . . .
أربع قاراتٍ جريحة بين نهديّ
كنت أفكر بأنني سأكتسح العالم
بعيني الزرقاوين ، ونظراتي الشاعرية .

لبنان . . يا امرأةً بيضاء تحت المياه
يا جبالاً من النهود والأظافر
اصرخْ أيها الأبكم
وارفعْ ذراعك عالياً
حتى ينفجر الابط ، واتبعني
أنا السفينةُ الفارغه
والريح المسقوفة بالأجراس

على وجوه الأمهات والسبايا
على رفات القوافي والأوزان
سأطلق نوافير العسل
سأكتب عن شجرةٍ أو حذاء
عن وردة أو غلام
ارحلْ أيها الشقاء
أيها الطفلُ الأحدبُ الجميل
أصابعي طويلة كالإبر
وعيناي فارسان جريحان
لا أشعارَ بعد اليوم
إذا صرعوك يا لبنان
وانتهت ليالي الشعر والتسكع
سأطلقُ الرصاص على حنجرتي .

وداع الموج

في المرافئ المزدحمة ، يلهثُ الموج
في قعر السفينة يتوهجُ الخمر
وتُضاءُ النوافذ ،
والزبد الحريري ، يرنو الى الأقدام المتعبه
ويتناثر على الحقائب الجميله
هنا بيتي ، وهناك سروتي وطفلي .
ابتعدي أيتها السفنُ الهرمه ،
يا قبوراً من الاجاص والبغايا
عودي الى الصحراء المموجه
والقصور التي تفتح شبابيكها للسياط

إنني أتقدم في ضجة الميناء
أبحث عن محرمة زرقاء وامرأةٍ مهجورة
أرسل نحيبي الصامت
نحو الشارع القديم ، والحديقة المتشابكه
يدي تلوح للنهدين المتألقين تحت الأشجار
للأشعار الميتة في فمي .

سأبكي بحرارة
يا بيتي الجميل البارد
سأرنو الى السقف والبحيرة والسرير
وأتلمس الخزانة والمرآة
والثياب البارده
سأرتجفُ وحيداً عند الغروب
والموتُ يحملني في عيونه الصافيه
ويقذفني كاللفافة فوق البحر .

سرير تحت المطر

الحبُ خطواتٌ حزينةٌ في القلب
والضجرُ خريفٌ بين النهدين
أيتها الطفلة التي تقرع أجراس الحبر في قلبي
من نافذة المقهى ألمح عينيك الجميلتين
من خلال النسيم البارد
أتحسَّسُ قبلاتكِ الأكثر صعوبةً من الصخر .
ظالمٌ أنت يا حبيبي
وعيناك سريران تحت المطر
ترفق بي أيها الالهُ الكستناني الشعر
ضعني أغنيةً في قلبك
ونسراً حول نهديك
دعني أرى حبك الصغير
يصدحُ في الفراش
أنا الشريدُ ذو الأصابع المحرقه
والعيونُ الأكثر بلادة من المستنقع
لا تلمني اذا رأيتني صامتاً وحزيناً
فإنني أهواك أيها الصنمُ الصغير

أهوى شعرك ، وثيابك ، ورائحة يديك الذهبيتين .

كن غاضباً أو سعيداً يا حبيبي
كن شهياً أو فاتراً ، فإنني أهواك .
يا صنوبرةً حزينة في دمي
من خلال عينيك السعيدتين
أرى قريتي ، وخطواتي الكئيبة بين الحقول
أرى سريري الفارغ
وشعري الأشقر متهدلاً على المنضده
كن شفوقاً بي أيها الملاك الوردي الصغير
سأرحلُ بعد قليل ، وحيداً ضائعاً
وخطواتي الكئيبه
تلتفت نحو السماء وتبكي .

القتل

ضع قدمك الحجريةَ على قلبي يا سيدي
الجريمةُ تضرب باب القفص
والخوفُ يصدحُ كالكروان
هاهي عربةُ الطاغية تدفعها الرياح
وها نحن نتقدم
كالسيف الذي يخترقُ الجمجمه .

أيها الجرادُ المتناسلُ على رخام القصور والكنائس
أيتها السهولُ المنحدرة كمؤخرة الفرس
المأساةُ تنحني كالراهبه
والصولجان المذهَّبُ ينكسر بين الأفخاذ .
كانوا يكدحون طيلة الليل
المومساتُ وذوو الأحذية المدبَّبه
يعطرون شعورهم
ينتظرون القطار العائد من الحرب .
قطار هائل وطويل
كنهر من الزنوج
يئن في أحشاءِ الصقيع المتراكم

على جثث القياصرة والموسيقيين
ينقل في ذيله سوقاً كاملاً
من الوحل والثياب المهلهله
ذلك الوحل الذي يغمرُ الزنزانات
والمساجد الكئيبة في الشمال
الطائرُ الذي يغني يُزجُّ في المطابخ
الساقيةُ التي تضحك بغزاره
يُربَّى فيها الدود
تتكاثرُ فيها الجراثيم
كان الدودُ يغمر المستنقعات والمدارس
خيطان رفيعة من التراب والدم
تتسلَّق منصّاتِ العبودية المستديره
تأكل الشاي وربطات العنق ، وحديد المزاليج
من كل مكان ، الدود ينهمرُ ويتلوى كالعجين ،
القمحُ ميت بين الجبال
وفي التوابيت المستعمله كثيراً
في المواخير وساحات الاعدام
يعبئون شحنة من الأظافر المضيئه الى الشرق
وفي السهول التي تنبع بالحنطة والديدان . . .
حيث الموتى يلقون على المزابل
كانت عجلاتُ القطار أكثر حنيناً الى الشرق ،
يلهث ويدوي ذلك العريسُ المتقدّم في السن
ويخبط بذيله كالتمساح على وجه آسيا .

كانوا يعدّون لها منديلاً قانياً
في أماكن التعذيب
ومروحةً سميكةً من قشور اللحم في سيبريا ،
كثير من الشعراء
يشتهون الحبر في سيبيريا .

البندقيةُ سريعةٌ كالجفن
والزناد الوحشي هادئٌ أمام العينين الخضراوين
هانحن نندفع كالذباب المسنّن
نلوّحُ بمعاطفنا وأقدامنا
حيث المدخنةُ تتوارى في الهجير
وأسنان القطار محطّمة في الخلاء الموحش
الطفلةُ الجميلة تبتهل
والأسيرُ مطاردٌ على الصخر .
أنامُ وعلى وسادتي وردتان من الحبر
الخريفُ يتدحرج كالقارب الذهبي
والساعات المرعبه تلتهبُ بين العظام
يدي مغلقة على الدم
وطبقةٌ كثيفة من النواح الكئيب
تهدر بين الأجساد المتلاصقة كالرمل
مستاءةً من النداء المتعفّن في شفاه غليظه
تثير الغثيان
حيث تصطُك العيونُ والأرجل

وأنين متواصل في مجاري المياه
شفاه غليظة ورجال قساة
انحدروا من أكماتِ العنف والحرمان
ليلعقوا ماء الحياة عن وجوهنا
كنا رجالاً بلا شرفٍ ولا مال
وقطعاناً بربرية تثغو مكرهة عبر المآسي
هكذا تحكي الشفاه الغليظةُ يا ليلى
أنت لا تعرفينها
ولم تشمي رائحتها القويةَ السافله
سأحدثك عنها ببساطة وصدق وارتياح
ولكن
ألاّ تكوني خائنة يا عطورَ قلبي المسكين
فالحبر يلتهب والوصمةُ ترفرف على الجلد .

غرفتي مطفأةٌ بين الجبال
القطيع يرفع قوائمه الحافيه
والأوراق المبعثرة تنتظر عندليبها
وندلفُ وراء بعضنا الى المغسله
كجذوع الأشجار يجب أن نكون
جواميس نتأملُ أظلافها حتى يفرقع السوط
نمشي ونحن نيام
غفاة على البلاط المكسو بالبصاق والمحارم
نرقد على بطوننا المضروبة بأسلاك الحديد

ونشرب الشاي القاحلَ في هدوءٍ لعين
وتمضي ذبابة الوجود الشقراء
تخفقُ على طرف الحنجره
كنا كنزاً عظيماً
ومناهلَ سخيه بالدهن والبغضاء
نتشاجرُ في المراحيض
ونتعانق كالعشاق .

أعطني فمك الصغير يا ليلى
أعطني الحلمةَ والمدية اننا نجثو
نتحدثُ عن أشياء تافهه
وأخرى عظيمة كالسلاسل التي تصرُّ وراء الأبواب
موصدة . . موصدة هذه الأبواب الخضراء
المنتعشة بالقذاره
مكروهة صلده
من غماماتِ الشوق الناحبة أمامها
نتثاءبُ ونتقيأُ وننظر كالدجاجِ الى الأفق
لقد مات الحنان
وذابت الشفقة من بؤبؤ الوحشِ الانساني
القابعِ وراء الزريبه
يأكل ويأكل
وعلى الشفة السفلى المتدلية آثار مأساة تلوح
أمي وأبي والبكاء الخانق

آه ما أتعسني إلى الجحيم أيها الوطنُ الساكن في قلبي
منذ أجيال لم أرَ زهره .

الليالي طويله والشتاءُ كالجمر
يومٌ واحد
وهزيمةٌ واحدة للشعب الأصفر الهزيل
إنني ألمس لحيتي المدبَّبه
أحلم برائحة الأرض وسطوح المنازل
بفتاةٍ مراهقةٍ ألعقها بلساني
السماء زرقاء
واليد البرونزيةُ تلمس صفحة القلب
الشفاهُ الغليظةُ تفرز الأسماء الدمويه
وأنا مستلقٍ على قفاي
لا أحدَ يزورني أثرثرُ كالأرمله
عن الحرب ، والأفلام الخليعه ، ونكران الذات
والخفير المطهَّم ، يتأمل قدميَ الحافيتين
وقفتُ وراء الأسوار يا ليلى
أتصاعد وأرتمي كأنني أجلس على نابض
وقلبي مفعمٌ بالضباب
ورائحة الأطفال الموتى
إن أعلامنا ما زالت تحترقُ في الشوارع
متهدلة في الساحات الضاربة إلى الحمره
كنت أتساقط وأحلم بعينيك الجميلتين

بقمصانك الورديه
والهجير الضائع في قبلاتكِ الأخيره
مرحباً بكِ ، بفمك الغامقِ كالجرح
بالشامة الحزينة على فتحةِ الصدر
أنا عبدٌ لك يا حبيبه
ترى كيف يبدو المطر في الحدائق ؟
ابتعدي كالنسيم يا ليلى
يجب ألا تلتقي العيون
هرم الانحطاطِ نحن نرفعه
نحن نشكُ راية الظلم في حلقاتِ السلاسل
بالله لا تعودي
شيءٌ يمزقني أن أراهم يلمسونك بغلظه
أن يشتهوك يا ليلى
سألكمُ الحديد والجباه الدنيئه
سأصرخُ كالطفل وأصيح كالبغي
عيناكِ لي منذ الطفولة تأسرانني حتى الموت .

انطفأ الحلم ، والصقرُ مطاردٌ في غابته
لاشيء يذكر
إننا نبتسمُ وأهدابنا قاتمةٌ كالفحم
هجعت أبكي أتوسَّل للأرض الميتة بخشوع
أوّاه لم زرتني يا ليلى ؟
وأنت أشدُّ فتنةً من نجمة الشمال

وأحلى رواءً من عناقيد العسل
لا تكتبي شيئاً سأموتُ بعد أيام
القلبُ يخفق كالمحرمه
ولا تزال الشمس تشرق ، هكذا نتخيل
اننا لا نراها
وعلى حافة الباب الخارجي
ساقيةٌ من العشب الصغير الأخضر
تستحمُّ في الضوء
وثمة أحذية براقة تتنقّل على رؤوس الأزهار
كانت لامعة وتحمل معها رائحة الشارع ، ودور السينما
كانت تدوس بحريه
ووراء الباب الثالث
يقومُ جدارٌ من الوهم والدموع
جدار تنزلق من خلاله رائحة الشرق
الشرق الذليل الضاوي في المستنقعات
آه ، إنَّ رائحتنا كريهه
اننا من الشرق
من ذلك الفؤاد الضعيف البارد
إننا في قيلولةٍ مفزعةٍ يا ليلى
لقد كرهتُ العالم دفعة واحده
هذا النسيجَ الحشريَّ الفتاك
وأنا أسير أمام الرؤوس المطرقة منذ شهور
والعيون المبلَّلة منذ بدء التاريخ

ماذا تثير بي ؟ لاشيء
انني رجلٌ من الصفيح
أغنية ثقيلة حادة كالمياه الدفقه
كالصهيل المتمرد على الهضبه .
هضبة صفراء ميتة تشرق بالألم والفولاذ
فيها أكثرُ من ألف خفقة جنونيه
تنتحبُ على العتبات والنوافذ
تلتصقُ بأجنحة العصافير
لتنقل صرخةَ الأسرى وهياج الماشيه
من نافذة قصرك المهدمة ، ترينها يا ليلى
مرعبة ، سوداء في منتصف الليل
ومئات الأحضان المهجورة تدعو لفنائها
وسقوطِ هامتها
وردمها بالقشّ والتراب والمكانس
حتى لو قدِّر للدموع الحبيسة بين الصحراء والبحر
أن تهدرَ أن تمشي على الحصى
لازالتها تلك الحشرةُ الزاحفةُ الى القلب
بالظلم والنعاس يتلاشى كل أثر
بالأنفاس الكريهة
والأجساد المنطوية كالحلزونات
بقوى الأوباش النائمة بين المراحيض
سنبني جنينة للأطفال
وبيوتاً نظيفه ، للمتسكعين وماسحي الأحذيه .

أتى الليل في منتصف أيار
كطعنة فجائية في القلب
لم نتحركْ
شفاهنا مطبقةٌ على لحن الرجولة المتقهقر
في المقصورات الداخلية ثمة عويل يختنق
ثمة بسالة مضحكة في قبضة السوط
الأنوارُ مطفأة . . لماذا ؟
القمرُ يذهب الى حجرته
وشقائق النعمان تحترق على الاسفلت
قشٌ يلتهبُ في الممرات
وصريرُ الحطب يئنُّ في زوايا خفيه
آلاف العيون الصفراء
تفتِّشُ بين الساعات المرعبة العاقة
عن عاهرةٍ ، اسمها الانسانيه
والرؤوس البيضاء ، مليئة بالأخاديد
يا رب تشرق الشمس ، يا إلهي يطلع النجم
دعه يغني لنا إننا تعساء
عذبْنا ما استطعت
القملُ في حواجبنا
وأنت يا ليلى لا تنظري في المرآة كثيراً
أعرفك شهيةً وناضجه
كوني عاقلة وإلا قتلتك يا حبيبه .

لتشرق الشمس
لتسطع في إلية العملاق
الحدأةُ فوق الجبل
الغربةُ جميلةٌ ، والرياحُ الزرقاء على الوساده
كانت لها رائحة خاصه
وطعم جيفيِّ حار ، دعه
ملايين الابر تسبح في اللحم .

أين كنتَ يوم الحادثه ؟
كنت ألاحقُ امرأةً في الطريق يا سيدي
طويلةً سمراء وذات عجيزة مدملجه
إنني الوحيد الذي يمرُّ في الشارع دون أن يحييه أحد
دعني ، لا أعرف شيئاً
اطلقْ سراحي يا سيدي أبي مات منذ يومين
ذاكرتي ضعيفه ، وأعصابي كالمسامير .
أنا مغرمٌ بالكسل
بعدة نساءٍ على فراشٍ واحد

الجريمة تعدو كالمهر البري
وأنا ما زلت ألعقُ الدم المتجمدَ على الشفة العليا
مالحاً كان ، من عيوني يسيل
من عيون أمي يسيل
سطّحوه على الأرض

الأشرعة تتساقط كالبلح
لقد فات الأوان
إنني على الأرض منذ أجيال
أتسكع بين الوحوش والأسنان المحطمه
اضربه على صدره انه كالثور
سفلَه ، دعني آكل من لحمه
بشدةٍ كان الألم يتجه في ذراعي
بشدة ، بشدة ، نحن عبيد يا ليلى
كنت في تلك اللحظه
أذوق طعم الضجيج الانساني في أقسى مراحله
مئات السياط والأقدام اليابسه
انهمرتْ على جسدي اللاهث
وذراعي الممددة كالحبل
كنت لا أميّزُ أيَّ وجهٍ من تلك الوجوه
التي نصادفها في السوق والباصات والمظاهرات
وجوهٌ متعطشةٌ نشوى
على الصدر والقلب كان غزالُ الرعب يمشي
بحيرة التماسيح التي تمرُّ بمرحلة مجاعه
مجاعة تزدردُ حتى الفضيله
والشعورَ الالهي المسوّس
لقد فقدنا حاسة الشرف
أمام الأقدام العاريةِ والثياب الممزقه
أمام السياط التي ترضعُ من لحم طفلةٍ بعمر الورد

تجلد عاريةً أمام سيدي القاضي
وعدة رجال ترشحُ من عيونهم نتانةُ الشبق
والهياجُ الجنسي
وجوه طويلة كقضبان الحديد
تركتني وحيداً في غرفة مقفلةٍ ، أمضغ دمي
وأبحث عن حقد عميق للذكرى .

النجيع ينشدُ على طرف اللسان
والغرابُ ينهض الى عشّه
الألمُ يتجول في شتى الأنحاء
والمغيص يرتفعُ كالموج حتى الهضبه
كادت تنسحب من هذا النضال الوحشي
من هذا المغيص المروع
رأسي على حافة النافوره
وماؤها الفضي يسيلُ حزيناً على الجوانب
من وراء المياه والمرمر
يلوح شعرُ قاسيون المتطاير مع الريح
وغمامةُ من المقاهي
والحانات المغرورقة بالسكارى
تلوح بنعومة ورفقٍ عبر السهول المطأطئة الجباه
لم يعد يورقُ الزيتون
ولم تدرْ المعاصر ، كلهم أذلاّء
وأضلاعي تلتهبُ قرب البحيره

انها تسقي الزهور ، أنا عطشان يا سيدي
في أحشائي الصحراء
انقذني يا قمر أيار الحزين .

استيقظي أيتها المدينة المنخفضه
فتيانك مرضى ،
نساؤك يجهضن على الأرصفه
النهد نافر كالسكين
أعطني فمك ، أيتها المتبرجةُ التي تلبس خوذه .

بردى الذي ينساب كسهلٍ من الزنبق البلوري
لم يعد يضحك كما كان
لم أعد أسمع بائع الصحف الشاب
ينادي عند مواقف الباصات
الحرية منقوشة على الظهر
واللجام مليء بالحموضه .
ضعْ قدمك الحجريةَ على قلبي يا سيدي
الريحُ تصفر على جليد المعسكرات
وثمة رجل هزيل ، يرفع ياقته
يشرب القهوه
ويبكي كإمرأةٍ فقدت رضيعها

دعْ الهواء الغريب
يكنس أقواس النصر ، وشالات الشيوخ والراقصات
انهم موتى
حاجز من الأرق والأحضان المهجوره
ينبت أمام الخرائب والثياب الحمراء
وذئاب القرون العائدة بلا شاراتٍ ولا أوسمه
تشقُّ طريقها داخل الدم
تموتُ على الرمال البهيجه الحاره
لاشيء يُذكر الأرض حمراء
والعصافير تكسر مناقيرها على رخام القصر .
وداعاً ، وداعاً إخوتي الصغار
أنا راحلٌ وقلبي راجعٌ مع دخان القطار .

غرفة بملايين الجدران

أوراق الخريف

طالما عشرون ألف ميلٍ بين الرأس والوساده
بين الحلمة والحلمه
لن أعود إلى المسرح بأصابعَ محطَّمه
والحبر ينزف من غرتي على الجدران والقاعات .
سأعيشُ هكذا
زهرةً يرويها الدمُ وتقصفها الريحْ
لأروي ظمئي العميق
إلى الرمل والجنونْ
للتشفي من بلادٍ حزينه
تتأرجحُ أسنانها كالحبال على مدخل التاريخ .

* * *

طالما عشرون ألف ميل بين الغصنِ والطائر
بين السنبلة والسنبله
سأجعلُ كلماتي مزدحمةً كأسنانٍ مصابةٍ بالكزاز
وعناويني طويلةً ومتشابكة كقرون الوعل

* * *

ولكن كما هو الثدي الفوّار
بحاجةٍ الى الأصابع الوثنيّه
والزنود المشمِّرة مع جلدها حتى الابط
كذلك أنا
بحاجة إلى شيء مجهول
له نعومةُ النهدِ وشراسة الصقر
يقبضُ عليّ من معصمي كالسارق
يلتفُّ حول طاولتي كلجام من الصمغ .

* * *

ولكن . .
تنقصني العيون الصافيه
والشعرُ المسترسل إلى الوراء
القدرةُ على سَبْكِ الكلمات
وتشذيبها كأذرع خارجة من القبر
ينقصني العمرُ والإيمان
الكوخ الأزرق الذي أحلم به
والطاولة المحدَّبة التي أشتهيها
حيث لا وطنَ للمرافق
ولا مقرَّ للدموع .

* * *

ولكن . .
بعضُ الكلماتِ زرقاء أكثر مما يجب
صعبة وجامحه

وترويضها كترويض الوحش
ولكنني سأكافحُ بلا رحمه
بلا أزهارٍ أو طبول
متّكئاً على طاولتي كالحداد
مستلقياً على قفاي كالشريد
حتى أحسَّ الحياة كلها
الحياة والحب والدمار
العسل والريح والسياط
تتطايرُ وتلتهب
تتطايرُ وتهوي كأوراق الخريف في الغابات .

* * *

لأن الكلماتِ الأخيرةَ ستقالُ في ليلة ما
لأن يدي
سفينةٌ مطفأةٌ بين دربين من النجوم
سأهجرُ المطر والريح
سأترك الجوعَ يتراكم بين أسناني
كما يتراكم الثلج على أجنحة العصافير
لأجل العيون الغريبه
والنجومِ المهترئة كأصابع القدم
سألبسُ المعاطف الجلديه
وياقاتِ الفرو الحمراء
سأنتعل أحذية العمال الموتى
وآكل في مطاعمهم ذات الأجراس

سأكونُ شهماً وضالاً
ولي عنفوان الآلهه
سأجعلُ الهموم تتراكم على شفتي
كما يتراكم الجليد على أفواه المغارات الأثريه
أترك غبار المكانس والقطاراتِ
يملأ أذني
وألتفُ حول قصائدي كالذيل
لا أريد أن أسمع شيئاً
لا المطرَ ولا الموسيقى
لا صوت الضحية ولا صوت الجلاد
لن أسمع إلاَّ طقطقة القصائد في جيوبي
وارتطام الحقائب على ظهري من مكان إلى مكان .

في فمي فمٌ آخر
وبين أسناني أسنانٌ أخرى .

* * *

يا أهلي . . يا شعبي
يا من أطلقتموني كالرصاصةِ خارجَ العالم
الجوعُ ينبضُ في أحشائي كالجنين
إنني أقرضُ خدودي من الداخل
ما أكتبه في الصباح
أشمئزُ منه في المساء
من أصافحهُ في التاسعه
أشتهي قتله في العاشره
أريد زهرةً كبيرةً بحجم الوجه
ثقباً كبيراً بين الكتفين
لتنبثقَ ذكرياتي كلُها كالينبوع
أصابعي ضجرةٌ من بعضها
وحاجباي خصمان متقابلان .

* * *

أريدُ أن أهزَّ جسدي كالسلك
في احدى المقابر النائية
أن أسقطَ في بئرٍ عميقه
من الوحوش والأمهات والأساور
لقد نسيت شكل الملعقة وطعمَ الملح
نسيتُ ضوء القمر ورائحة الأطفال
ان أحشائي مليئةٌ بالقهوة البارده
والمياه العمياء
وحنجرتي مفعمةٌ بقصاصات الورق وشرائح الثلج
أيها الماءُ القديم
أيها الماء النبيءُ . . كم أحبك .

* * *

بياقات صلبةٍ تصل حتى الذقن
بشفاه دبقة ومعاصم تخنقها الأزرار
نقف لنأكل
نقفُ لنشتاق
نهوي على الذباب بالقصائدِ والمناديل
لنلمحَ شجرةً أو طائراً يمضي .
بأقدامٍ صغيرة لا تعرف الرحمه
نتكئ على الأرض
ونقذف أضلاع الريف من شارع إلى شارع .

* * *

كنتُ أصعدُ الأدراج الملتوية مئات المرات

نظيفاً كالقطن
لَمّاعاً كورق الآس .
اصعدُ وأهبطُ كخنجرِ القاتل
بأحذيةِ الشهرة ، وأحذية البغضاء
معلقاً تعاستي في مسامير الحائط
غارساً عينيَّ في الشرفات البعيده
والأنهار العائدة من الأسر
رأيتهم جميعاً تحت السماء الصفراء
أغنياء ومسالمين
فقراء ووحوش
ملايين الأسنان تصطدمُ في الشارع
ملايين الوجوه المقطَّبه
تخفض بصرها تحت الرعد
رأيت الجنازاتِ المسرعه
وأعنَّة الجياد البربرية تلتهبُ في الشوارع
والعمال يسقطون من الأدوار العليا
يقبرون باحكام تحت المطر الحزين
مع تبغهم وثيابهم وصُرَرِ طعامهم
دون أن يثورَ شيء ما في الصحراء
الريحُ تصفرُ فوق النجيع
والقبورُ الصغيره
تتساقطُ كالندى على القبعاتِ والمعاطف .

* * *

رأيتُ النسيم المعلَّب
والصحف المرتطمةَ بالأمطار
شربتُ المياه المسنَّه
ولعقتُ الزبدة التي فيها دماء الثدي
ولم تساورني الشكوك أبداً
في هذه الأرض النائمة كالطفل
في هذه الأرض المحدودبة كالجزّار
ولكن من خلال الشبابيك
من خلال الآلاف المؤلفه
من النجوم والجثث والمطارق الناريه
كنت أبحثُ عن ضربةٍ قاصمة لوجهي
عن بحر صغير أنتعله بقدمي
وطعام متكبِّر
أطويه على زندي كالوشاح .
لقد مللتُ السلالم الطويلة وقاعات الانتصار
أريد أن أشوي الذرة عند الغروب
أن آكل الحجر والحصى عند الغروب .

* * *

أريد أن أضمَّ إلى صدري أيَّ شيءٍ بعيد
زهرةً بريةً
أو حذاء موحلاً بحجم النسر
أريد أن آكل وأشرب وأموت
وأنام في لحظة واحده

إنني مسرع مسرع
كغيمة أصيبت بالجرب
كموجةٍ وحيدة مطاردة في البحر .

خيانة

كان ينتظرني في العاشرة مساء
وعيناه تومضان كنبعين متجاورين
ذلك الرجلُ الغريب
وقد أتى مسرعاً في العربة الأخيره
من القطارِ الأخير
ليقذفَ لفائفه من الأدوار العليا
ويمدَّ يدهُ كالبندقية من النافذه .

* * *

وأنا أغذُّ السير في الضواحي
بين الوحولِ وصفائحِ التنك
حيث المطرُ ينهمر
والنوافذُ البعيده
تلمع كنظَّارات تغطيها الدموع .

* * *

كانت الحربُ في نهايتها
والأشجارُ الكثيفة تعلوها الأزهار .
كانت الحربُ في بدايتها

والأنهارُ الممزقه
تسافر نحو الجنوب
تعلوها جبالٌ من الرعد والزكام
وذباب المطاعم المقفره
يحوم فوق المنعطفات وعورات التماثيل .

* * *

كان يقبِّلُ حبيبته على الشرفه
بعد أن أيقظها بحذائه
وغطَّى سريرها بالغبار وقشِّ المعتقلات
دافعاً يديها الى الوراء
منحنياً على صدرها
كأحد تلك التماثيل النحاسية
التي تُنْصَبُ في ساحات الانتصار
لاعقاً غضاريف الأذن والحواجب
كما تُلْعَقُ أطراف المغلَّفات .
لقد كانت الحربُ في نهايتها
ونهداها الأزرقان
يتأرجحان تحتَ المطر كمشانتين فارغتين .

* * *

« لقد نهبوها
لقد تركوا لي العطر . . الغضاريف
والستائر المضرَّجة بالدماء »
. . . وأنا أجلسُ كالجرذِ عند العتبه

أعدُ الغيوم وحلقاتِ الدخان
لقد كان صديقي الوحيد
وطفلته الجميلة من صلبي .

الرجل الماثل

لأجلك أيها الطائش
أيها الرخيمُ كالعصفور
أمسك الملعقةَ من ذيلها
أمرِّرُها بين نهديّ كالزنبقه .

* * *

منذ شهورٍ وهو راقدٌ بجوارنا
متلألئاً كالسيف تحت المياه
يكتب ويدخِّنُ ويبكي
ولا ينظر إلينا .
ساعات طويلة وهو يغنّي
وهو يبكي فوق النفايا البربريه
يمسك المرآة بيديه
يشدُّها كجلدة الصدر
بحثاً عن الأيام الغابره
والفرسان الذين أخرجوا من أوكارهم
بأطراف الأحذيه
ثم يمدُّ رأسه خارج النوافذ

كأنه يحمل قريةً صغيرة بين أسنانه .

* * *

في ليالي الشتاء
كنت أرنو إليه من شقوقِ الأبواب
أتأمل جلده الفضفاض
وصدره الهادئ كالحقل
ألصِقُ نهدي على قبضة الباب
أغرسه في مسامير الباب
وأبكي
ولا ينظرُ إليّ
يسير حافياً على البلاط العاري
هامساً كالجاسوس
وأوتارُ ظهره نافرة كأوتار القيثارات
يردّد كلماتٍ لا أفهمها
عن المطر والأشرعه
وحقول الأرز الصفراء
ويضرب طاولته في الزوايا بإحكام
كمن يبني جسراً لجيش يتقهقر .
ثم يقعي أمام النافذه
يتّكئ على الجدران الأربعة ويغني :
الأيام الجميلة مضتْ
الأيام الراسبة في الوديان
وقاع الفناجين

تسعى كالنمل على أرجلِ الطاولات
تلتهم الخبز والخمروأطراف المسدسات .
ثم يثب كالراقصة الى السرير
وذراعاه الأشقران
متدليان على جانبَيْ السرير
كأنه يبحث عن حقائبَ ما . . في الظلام
عن عنقٍ ما . . يخنقه .

* * *

كنت أقضي الساعاتِ الطويله
بعد أن ينامَ أطفالي
وتتقابل أنوفهم الصغيره
كعيون العشاق في المقاهي
أتأمل قفا قدميه السمراوين
أتأملُ آلاف الأميال
والطرقات المتربة الحارة التي أجتازها
ألمح القشَّ والدم والسياط
فوق ظهره الهارب
أتخيَّلُ وجهه الأبيض الحبيب وهو
يتصبَّبُ عرقاً في الأدغال
وأرجله العاليه
تغوصُ في الوحل والشوكِ والمقابر
من أجل الحريه
من أجل الكسل والفوضى .

* * *

كنت أشتهي تقبيله وصفعه كالعبد
أن أرقدَ بجواره كالطفله
وأمضغَ شفتيه كاللبّان
ذلك الذي يرخي قدميه من النافذة
كبوقين مكسورين .

* * *

وفي يوم من الأيام
عطّرْتُ جسدي وشعري ودموعي
وتخيَّلْتُ جسده الهارب فوق جسدي
زنده الموحش
يلفُّني كالأفعى المريّشه
تخيَّلت كلّ طيور العالم
تلتقي وتفترق بين نهدي .

* * *

قرعتُ الباب بهدوء
وأسلمت عينيّ لوجهه الحبيب
للسفن المبعثرة كالعَلَقِ على قدميه
فلم أجد غير الريح
والأوراق الممزقه .
سريره فارغٌ
وثيابه مسلوخةٌ عن الجدران
والمطرُ يضرب النوافذ كالجلاّد
كان وسط الشارع يغيبْ
زافراً كأولئك الثوار المشبوهين
يتأبط ثيابه وكتبه ووطنهْ .

منزل قرب البحر

ماذا يريد الصدرُ البرونزي
والبحرُ الرّاكب فرسه الجميلة
لا أريد الشوارع قصيرةً هكذا
أريدها عميقة وهيّابه
طويلة وفاتنه
كأحشاء مبعثرة في الريح
أريد فقط
وللحظة واحده
أن أداعب الزبدَ الأبيض بعقالي
وأنا مبحرٌ إلى مكان ما
تحت مطر حزين . . حزين
أن أرى بلادي الجائعه
تبتعد عني
زهرة زهرة وشجرة شجره ،
أن أرى الفقرَ والوطنية والمساواة
من نوافذ السفن
حيث الطيورُ المائيّةُ الكسلى

تبيضُ على قبْعتي
وتشعل لي لفافتي المائلة مع الريح
* * *
لا أريد أباً يلوِّح بشملته
أو حبيبةً تنعقُ لأجلي كالغراب
أريد أن أرحل هكذا
فقيراً وكسولاً
في كل عام أخطو خطوة
وفي كل جيل أكتب كلمه .
* * *
لقد آن الأوان
لتمزيق شيء ما
للابحار عنوةً تحت مطر حزين حزين . . .
لا كمغامر
تلفُّه سيول من الحقائبِ والأزهار
بل كفأرٍ خسيس
كفأر دامع العينينْ
يستيقظ مذعوراً
كلما ناحت إحدى البواخر
وتألقت مصابيحها
كعيون الضباع المبلَّله .
* * *
يا أرصفةَ أوروبا الرائعه

أيتها الحجارةُ الممدّدة منذ آلاف السنين
تحت المعاطفِ ورؤوس المظلاتْ ! ؟
أما من وكرٍ صغير
لبدويٍّ من الشرقْ ؟
يحمل تاريخه فوق ظهره كالحطّاب .

* * *

لا . .
لن أرحل تحت النجوم
ولن أطأ أمواجك الصافية بحذائي
سأظلُّ في مؤخرة السفينه
أنهشُ خشبها كاللحم
أعبرها موجةً موجةً ، على رؤوس الأظافر .

* * *

سأصنع أوكاراً ملتوية بين الأمواج
ملتوية وعميقة كالأزقه
أختبئ فيها من العواصف
وزمجرات الريح
سأصنع وسادة من الأمواج العتيقه
وأنام بثيابي وحذائي ودفاتري
حتى الصباح .

* * *

سأشقُّ طرقاتٍ واسعةً للتسكع
وأزرع جوانبها

بالأشجار والمقاعد الفارغه
سأبحث عن سمكة صغيره
بعينين عسليتين
أبحث عن أثدائها بأصابعي
وأعقدُ قراني عليها
تحت وهج القمر ونيران المذابح .
سأصنع لها شعراً طويلاً من شرايين المياه
وصدراً ناهداً
من عيون البحارة القدامى
أكتب لها الأشعار
وأتجوّلُ معها في أعماق البحر الخلاب
كما يتجول العاشقان في الأسواق .

* * *

وتحت غيوم الكستناءِ الزرقاء
بين عواء الزنوج
وصرير النهود البريّه
حيث يودّعني البحر ، وهو يسعلُ ويتنهد
كرجلٍ مدمنٍ على التبغ
سأغوص بحراشفي باتجاه الجزر والأدغال
حيث دموعُ النسور تتراكم كالطمي
والكلماتُ الوحشيه
تتدلّى من الأشجار كثمر التين .
لن أكون ضجراً هناك

وأنا أختال كالطاووس
في غرفِ الفحم الملتهب
حيث يتصبَّبُ عرقي على الحقائب
وغدائر المسافرات
حاملاً أطفالهن على مداخل الجزر
ضاغطاً أثداءهن الصغيرة بكتفي وظهري
رافعاً دفاتري القروية كالسيف البراق
في وجه العالم أجمع .
وفي الليل
عندما تظلمُ الأمواج كالقبور
وتسيل دماء الأسرى تحت الأشرعة الغاربه
سأقفُ على موجة عاليه
كما يقف القائد على شرفته
وأصرخ :
إنني وحيد يا إلهي .

مصافحة في ايار

ـ هل وجدتَ عملاً ؟
ـ لا
ـ هل كتبتَ شيئاً ؟
ـ لا
ـ هل أحببتَ أحداً ؟
لا
لا . . ولكنني أشعر بزهوِ الجلاَّد
بأنين الطيّار الذي يضربُ وطنه بقنابله
إنها تثير قرفي تلك السماء الزرقاء
إنها تثير شهوتي
تلك الأرصفة الطويلة الملساء .
الأرض والسماء والجبال الضخمه
الوحلُ والغضب
الموسيقى الناعمة تثير شفقتي .
ولكن صوتي خافتٌ وضعيف
وقلبي يذهبُ ويجيء كالفقاعةِ تحت الجلد
كعصفور أخضرَ بين سحابتين مهجورتين

لقد اهترأتْ ذقوننا على المناضد
والتوتْ أنوفنا من القبلات الطويله .
ـ هل ترحل ؟
ولماذا ؟
هل لأعودَ في أواخر العمر
على عكازين وسخين
وأتمرَّغُ على أول رصيف
يلوحُ لي من الوطن
أم لأعودَ لابساً قبعة من القش
متأبطاً ذراع امرأه
ضاجعها رجالٌ بعدد النجوم .
لا
سأظلُّ متكئاً على ريشتي حتى الشيخوخه
متكئاً على مرفقي
حتى يسيلَ اللحم على الخشب .

* * *

لا . . إلى حفَّار القبور
أيها الأبله
إلى قبرٍ يتدلى كالجرس من عنق الصحراء
السهولُ التي نحلم بها لم توجد بعد
الانزواء في الغرف الرطبه
أيها الأبطال المجانين
الانزواء في الخنادق التي دمَّرتْها الحرب

وشوَّهتها أقدامُ المنتصرين .
هذه ليست أصابع لكتابة الشعر
إنها مشاجبُ قديمةٌ للأظافر
وهذه ليست أرجلاً للمشي
إنها قطعٌ كبيرة من اللحم
لضربِ الاسفلت
للوداع ، للشهره
للاحتكاكِ بالوطن . . بالسراويل .
* * *
الانحناء كالصقور الهاربه
أيها الشعراء الموتى
الاختباء في زحام القطارات
وتحت أذرع التماثيل
الرقاد على الحصى والغبار
على بطون الزوجات المتسخة
برائحة السمك والصابون
حتى تبزغَ شمسٌ جديده
وعقولٌ جديده
تفهم نعاسنا في المقاهي
وقهقهاتِنا خلف رذاذ السفُنِ وبكاء المدافع .
* * *
الرجلُ المائلُ فوق البحيره
يخطو نحوكم كالجلاَّد

الفلاحُ الحامل عقاله بين شفتيه
يخاطبكم وهو يهتزّ كالراقصه :
الأشجارُ ترحل خلسةً في الليل
تعود خلسة في الليل
سيطلع بؤسٌ كبيرٌ من قلب الحضاره
ستطلع أزهار قرعاء
وسنابل تتضوّر جوعاً وعهراً
من قلب السهول التي أحببناها
من وراء النوافذ والنظّارات
حيث لن تبقى إلا السماء المجدبه
وآثار النجوم
الشبيهة بآثار الماشية في الصحراء .

* * *

يا صديقي
ضع لفافةً الى جانبي وارحل
لا . . .
تعالَ إلى نور المصابيح
لأراكَ وأنت تمشي
لأراك وأنت تعطي !!

بكاء في رحلة صيد

أحبُّ أن أرثي ذلك الرجل
وأنا مشوَّهٌ وطريد
في تلك الأقاليم الغائمه
حيث الجيادُ تصهل
والقمرُ يشبّ كالحيوان خارج الوطن .
أحبُّ أن أرثي ذلك الرجل
أن أحملَ نعشه بيدي كاللفافه .

* * *

منذ عشرين عاماً
رأيته يرفعُ غدائره بيده
يلوِّحُ بسوطه فوق أرضنا المغتصبه
وكلابُ صيده تخشخشُ بأطواقها المعدنيه
داخل الضباب الممزَّق بالرصاص .

* * *

أنا وحدي الطفل الأبله
ذو العين الدبقه
والشعر المسترسل على كتفي كالصوف

كنت أنامُ في الصناديق
وأسافر في الشاحنات
أتسلّق أشجار السرو حتى نهايتها
لأرى بصيلاتِ شعره وسواحلَ فمه
لأرى فكَّهُ الأبيض
وهو يقرضُ النهود والخضراوات
لأرى الحبَّ والفقر من علوٍّ شاهق
أرفع سروالي وأتمتم كالعصفور :
مولاي !!
إنني ضجر يا مولاي !!
أرسلني مع بضائعك وقبعاتك إلى مكان آخر
أكتبْ اسمي على حوافر جيادك
واركضْ بي كالصاعقه فوق الصخور
فالرمالُ في بلادي لا تجيد القراءه
والغبارُ لا يحبُّ عيون الأطفال :

* * *

وكان يبكي في الشتاء
يرقصُ وحيداً في الزمهرير
ينظرُ إلى أمهاتنا وأخواتنا
وقد فتَّت الزحامُ أثداءهن
كنت أرهبُه وأعبده
وأنا ألمح أرضي الحبيبه
تثبُ وتضحكُ وتتألم

من خلالِ الحوافرِ وأغلفةِ الرصاص
أرض بيضاء كالمرهم
مليئة بروث الجياد والدم وسراويل النساء الباكيات
وهو يصعدُ التلال بعنفِ القراصنه
تاركاً فمه الأحمر
يئزُّ كالفراشة فوق الكروم
فوق التلال المقلوبةِ كالمناضد
وأمواج البدو والعسكريين الزرق
ينحدرون كالعاصفه
بين الأنهار والملاءاتِ السود
حيث الغربانُ تبكي
والفضاءُ مظلمٌ كفوهة المدفع .
وكنت وحدي . . أعود إلى القرية المهجوره
والترابُ السَّاخن يسلُقُ قدمي
منحنياً خلف الأسيجه
منتصباً كالفأر على رماد التاريخ
والحبر يلمعُ بين أسناني كالسكين .
لماذا لا يكون لي بنطالُهُ وشعرُهُ وسوطه ؟ ؟
لماذا لا تكون لي هذه الماشيه ؟
وهذه الطبول ؟

* * *

لقد كان من تلك السلالات المنقرضه
التي ترجِّل شعرها عند المنعطفات

وفوق سطوح الفنادق
وكنا نحن بعض الصبية القذرين
نحبّه ونهواه
ونضع له الأمشاط والمرايا وسط الحقول
نأخذ له اللحم والمال إلى قمم الجبال
وهو يمدُّ لنا يده كالخرطوم
لاعقاً كلَّ شيء
قشطةَ الأرض وغلَّة الحوانيت
حصيلة الأطفال
وحلوى الشيوخ والمقعدين
ومع ذلك . .
كان الفرحُ ينهمر كالمطر في الغابات
أرضنا هشَّة كالكعك
خضراءُ كالزيت
تفور بالخير والبسالة والأعراس .
ولكن . . .

* * *

منذ أن غاب عنا ذلك الغريب
أضحتْ خرائب قاتمه
تصفرُ فيها الريح
تنعقُ فيها الغربان .

* * *

لن يصدقوا أبداً انه مات

وان فمه الشهي
أنتُزِعَ عن الأرض بالملاقط
سيقولون ان روحه
مازالت ترفرفُ في كبد السماء
وانه راقدٌ في علياء الكون
كما ترقدُ الفراشةُ في أذنِ الطفل .

* * *

سلاماً أيتها العقول المؤمنه
أيتها الجلابيبُ
أيتها الضوضاءُ القديمه
سلاماً أيتها الكروم
التي مزّقها الركضُ والايمان .

اصفرار العشب

القمحُ الأزرقُ ، ذو الأهداب الطويله
يبكي فوق حقولنا .
أيها الرجلُ المجهول
اقذفْ قبعتي في الوحل
اضربْ حبيبتي بالسياط
ولكن دعني آكل
دعني أغرق أسناني في الأمكنة النائية
في الأمكنة التي أحبُّها
في المطر . . في النساء
في دواليبِ القطارات التي أشتهيها
* * *
أيها الطائرُ المجهول
عندما يكون القمرُ ساطعاً
والتلالُ الخضراء تمدُّ مناقيرها من الشاحنات
تأمَّلْني وأنا آكل
وأنا أشتاق
تأمَّلْ أظافري القذرة على الأكواب

وفمي المدَّبَب كالنصل باتجاه السماء .

* * *

أيها الطائر المجهول
اضربْ شقيقاتي بالسياط
إحصِ أثداءهن والقلم خلف أذنيك
ولكن دعني أخبئ الخبز في لحمي كالدبابيس
افتله كالشوارب السريَّة فوق شفتي .
لست مجنوناً ولا خائناً
ولكنني صقر ينكش أضراسه تحت المطر
ينثر مخالبه كالبذار .

* * *

أيها الطفل
أيها القاتل
أسناني أحنتْها الريح
من غرفتي النتنه
من بين جذور القمح وأظافر الموتى
أخاطبك أيها القاتل
على لساني خمسةُ عصافير
من الدهن والمطر
نواةُ غابة تغطيها الثلوج
بين أسناني خمسُ سفنٍ من الدموع
وغزالٌ يتأبَّطُ صحراءه كالتلميذ .
عبر الاصبع والاصبع . . آلافُ الجثث والخرائب

عبر الناب والناب
آلافُ الجبال والأودية والزجاج المحطَّم
ولكنني قادرٌ على قضم الشرفِ كالخبز
الخبز الأبيض . .
ذو الفقاقيع الليلكيه
والمتدلي كالشريطة على غدائر الطفل .

* * *

اقذفْ قبعتي في البحر
خذْ حبيبتي حيث تشاء
« سأجري اليها »
عندما يكون هناك « وقت وريح »
إنني قبرٌ بعجلات لا تحصى
ولكن دعني الآن . . لا غداً
اغرق أسناني في الأشياء التي أحبُّها
في الماء . .
في الضَّجيج ، في عضلات الحقول
دعني أدفع مخالبي . .
في الأيدي الظالمه
والأيدي البعيده
في المطر . . في الدهن
في الأقدام التي تجوسُ شوارعنا
في البنادق المزهرةِ كالعوسج فوق قبورنا

مقهى في بيروت

لاشيءَ يربطني بهذه الأرض سوى الحذاء
لاشيء يربطني بهذه المروج
سوى النسيم الذي تنشَّقته « صدفة » فيما مضى
ولكن من يلمسْ زهرة فيها
يلمسْ قلبي
من « بلس إلى جاندارك »(١)
ومن « جاندارك إلى بلس »
رفعت يدي مئاتِ المرات
محيِّياً مئاتِ الأشخاص
باليد التي تأكل
والتي تكتب
والتي تجوع .

* * *

من التاسعة حتى العاشره
رأيت نوافير الطيور والدم

---

(١) شارعان متقاطعان في بيروت .

والفراشاتِ الممزَّقة منذ أجيال تحت الحوافر
شربت قهوة وماء وتبغاً ودموعاً
حتى أصبحت كالحبلى
وما ارتويت .
وعرضت نعلي في وجه
الصيف والخريف
في وجه البحر والصحراء
والأمطار اليابسه كالحجر
وما ارتويت .

* * *

سمعتُ موسيقى حزينه
وهززتُ رأسي كالجواد
واشتهيت أن أصهل صهيلاً طويلاً يمزق عنقي
أن يكون عنقي من البلّور الصافي
لأرى أنهارَ الشوق والجوع والذكريات
كيف تجري ؟
أن أخلع نواجزي
وأضعُها على طاولتي كالقفاز
وأنام . . حتى ينتهي العالم .

* * *

اشتهيتُ أن يدخل أبي
من ذلك الباب المذهَّب
وعقاله يتأرجحُ على ظهره كحبال المسارح

ومخاط بقرته الحبيبه
يسيل هنا وهناك
كما يسيلُ الدم من شقوق المقابر .
اشتهيت أن أرى قرنيها اللامعين
يثقبانِ الضجر والحريه
الريح والمطر والهتافات
وتلك الأثداء المفلطحه كأزرار المعاطف .

* * *

اشتهيتُ أن تدخل أختي الصغيره
ذات العيون الفستقيه
والجدائل المربوطه بالقنّب
لأبتلع يديها الصغيرتين كالنعناع .
اشتهيتُ أن أسمع ضحكةً عاليةً علوّ النجوم
تخلخلُ ملايين الجدران
وتطحنُها أمامَ عينيَ كالرمل .

* * *

من التاسعة حتى العاشره
حيث أمعاءُ الساعات تبرزُ من المعاصم
اضّطجعتُ وحيداً على الصخور
ذهبتُ الى دورة المياه
شادّاً ربطة عنقي إلى أسفل
تاركاً إيّاها
تتأرجح كيدِ ميتةٍ على صدري

وتخيلت آلاف الأشجار المحترقه
تهوي على الأرض
آلاف الجنازير والأفواه والسلاسل
تطوّق غرفتي كالضماد .

* * *

اتكأتُ بجوار المداخن
والأوراق المضغوطة بالحبر
لأسرِّح شعري جيداً
لأشدَّ حزامي جيداً
كي تبرزَ كآبتي كلها
كي تبرز أعضائي المتوترة كلها
كما تُبْرِزُ الفتاةُ نهديها في النزهات .
ورجعتُ الى الزاوية نفسها
مستحماً حتى قمة رأسي باللهب والانكسار
« أيتها المرأة ، أيتها الحصاة ! »
أيتها النافذه
« كوني أماً أو شقيقة أو حبيبة لي » .

* * *

من الواحدة حتى الواحده
حيث لحمي يرفع جناحيه كالعصفور
شربت ماء مثلّجاً بالقشّ
ومسحتُ العرق بالجدار
وتذكرت الطبيعة الشاسعه

والبيادر المنفصلة عن بعضها كالكنائس .
تذكرت الضفادع وأغصان الغار :
كنت أستلقي على مرفقي فيما مضى
أشرب بفمي وحواجبي وجلدي
أشرب ماء أزرق بلون العضلات
بلون البنفسج
بلون الدماء الملكيه .

* * *

من « جاندارك إلى بلس »
ومن « بلس إلى جاندارك »
سرت آلاف الكيلومترات المرصوفه فوق بعضها
رأيت أطناناً من النساء والخادمات
تأملت النقود البريه
والحلوى الهادرة تحت الجسور
تأملت أصابعَ النادل الرفيعه
وهي تمسح دموعي عن الطاولة كالحساء .

* * *

قهوة قهوة أيتها الجدران
مزيداً من الأرصفةِ والغبار أيها الله
شفتاي في قاع الزجاجه . . .
أريد أن أكون سمكةً في مستنقع بعيد
سمكة في غيمةٍ عاليةٍ تتحرك .

الرعب والجنس

عندما أكون وحيده
ومستلقيةً على النهدِ الذي يحبه
يأتي إليّ
زنخاً كالقصّاب
وحيداً كطائر عُذِّب حتى الموت
يعضّني في فمي وشعري وأذني
ويرفعني بين يديه عالياً
كي أرى دموعه من منابعها
لأرى ملايين القطارات المسافره
تلهث بين حاجبيه الكثيفين .
عندما أكون وحيده
وشهوتي تتمايلُ كورق النخيل
يأتي إليّ
بحذائه الضيق
ومعطفه المموّج كالبحر
يمرِّرُ يده القذرة بين نهديَّ
ثم يمضي ولا يعود .

* * *

وعندما يجوع
وتتّسخ ثيابه من الحبر والكتابه
ولا يجد بيتاً أو شارعاً يأوي إليه
يأتي إليَّ
بطيئاً تحت الأشجار الجرداء
يلوّح شهوته كالسلسلة بين اصبعيه
* * *
يقفُ ذليلاً على الباب
والدموعُ ترفرف في عينيه كالعصافير
يقف وحيداً أمام العالم
ليشقّ طريقه كالملاح إلى سريري
في الظلمه
الظلمة العميقة الآسنه
حيث الريحُ تزأر
والأشجارُ المبلّلَةُ تنوح كنسوةٍ مغتصبات .
يطوقني بين ذراعيه
وينغرس في لحمي كالصنبان .
يحدثني عن الرعب وأوراق السرو الخضراء
عن تسلّخ الجلدِ في المعتقلات
وتساقطِ الشفاهِ في المغاسل
عن الصهيل القديم
والغيوم المرفوعة كالأشرعة على رؤوس الحراب .
* * *

آه لو كانت الذكريات تمشي
طبقاتٌ كثيرةٌ من شفتي
ضاعتْ في المباغي والملاعق
أشياء كثيرة فقدتُها بلا معنى
« محارم ، أزرار ، حقول »
ولاعات بشكل النجوم .

* * *

الحياة مملة كالمطر بلا ماء
كالحرب بلا صراخ أو قتلى
فأضحك كثيراً
وأضمه بين ذراعي . . صغيراً صغيراً
أكاد أشربه كالنبيذ
ذلك الغريب الذي يصعد الى صدري
كأنني سفينة أو قطار .

* * *

وعندما ينهمرُ المطر في الشوارع
وتمتلئ الأزقة بالبؤس والأوحال
ينهضُ عن صدري
ويرفع كتفيه على شكل زورق . . ويمضي .

الصديقان

كسنبلةٍ مكسوَّة بالشعر
رأيتك تنزف على فوهة الخليج
أيها المشوَّه
تحصي جراحك وندوبك
كما تحصي الغابة طيورها عند المساء .
يا معيلي أيام المحنه
أيها المطرُ والرعبُ والرصاص
انظر
النجومُ والبراغيث على قمة الجبل
فمٌ مقابل فم
ونسرٌ مقابل نسر
والأبواب الزجاجية الصفراء
تمنعُ الشوارع الملتهبة من السفر
من التفيؤ تحت الطاولات والستائر .

* * *

انظر . .
أنفكَ يتحرَّك كالفراشه

وأنفي يسيل كالمزمار
نريد طيوراً غاضبة
تثقب الزجاج بمناقيرها
أكواباً عالية . . تتكيء عليها شفاهنا .
آه ما أشهى النسيم
الذي يفصل أصابعي عن بعضها
ويبعثر أهدابي فوق البحار
الأمهاتُ يابساتٌ على السطوح
والأوراقُ الخضراء
لم تلامس بعضها منذ الصباح
لا طائر
لا غبار
لا أمطار
والبحرُ بجوارنا مقفرٌ كباحة المدرسه .
أمواج صغيره
ترنُّ كالتنك منذ أيام
الشواطئُ مملوءةٌ برسائل الغرام
والحلماتُ المجوفة كالغلايين .

* * *

آه يا صديقي
ما أشهى النسيم الذي مرَّ بنا منذ عام
في نفس الصيف
ونفس المكان

لقد كان بارداً ولاذعاً كالوحش
يدخل سراويلنا كألسنة الخراف البيضاء .

* * *

انظرهناك
حيث أشيرُ باصبعي
بعض الأمواج الصفراء الميته
كيف هي طافيه
كقطع من الخشب فوق المياه .
انظر إلى السماء
حيث أشير لك بلفافتي
بعض الغيوم
كيف امّحَتْ من التشرّدِ والتجوال
ثم انظرْ
كيف هي طافية على وجه السماء
مهترئة كقفا السراويل .

* * *

آه ما أشهى النسيم الذي مرَّ بنا منذ عام
لقد كان يهزّني كالشجره
ويرفع سترتي كالذّيل
حيث الأمواج تصفع بعضها منذ الصباح
وصوت البحر يعلو ويهبط
كصوت عنقٍ يذبح .

* * *

انظر . . .
عقربُ ساعتك يتثاءب
وعقربُ ساعتي يمد رأسه خارج الاطار
أتذكر فمَ الشقيقة العسلية ؟
لقد كان صغيراً كحبة القمح
كالفم الذي رسمته بدموعي على الطاوله
أتذكرُ هتافاتِ الطفوله ؟
وطيران اللعاب
حيث الريحُ تغني
والقبلةُ تنفتح كالشراع .

* * *

هيا يا صديقي
ثمة غيمة تشبه الرصيف
لنمضي
الريح تهبُّ
والاسفلتُ يرتفع لأجلنا كاللحاف .

الأعداء

تحت المصابيح المبقعةِ بالدم
رأيتُ ضرسي يطول
يلتفتُ نحو دموعي كالحمامه
رأيت أدمغتهم داخلَ القبعات
وأرجلهم الرفيعة تتشابك كالخيطان تحت المناضد .

* * *

ما أجملَ طعنه في القلب
ذلك الفلاح المشرئب وسط النار الآكله .
غداةَ رأيناه
بسترته المقلَّمة
وشعره المعطَّر كورق الريحان
يشير غاضباً الى الصحراء البعيده
والمطرُ المتورّم بين الأدغال
شعرنا بالفضيحة السريه .
غداة رأيناه
يعقفُ قدمه كالجواد
ويضرب بها حافة الرصيف

كأنه يضرب العالم على يافوخه
شعرنا بآلاف الكتب تجري كالأوزّ في المستنقعات .
* * *
كنا علماءَ وصحفيين وسكارى
نتحدثُ بأصوات متقطعه
عن القلق والحرب والغيوم الداعره
نترنَّح ظماءَ لقروي غريب
له غدائرُ الفرس
يصرخُ بين الأرائك
ويرفع يده كالمذراة في وجوهنا
كنا نحتضر
والشعر جنازة ترافقها الطيور الحمراء الى المنفى
* * *
وعقب خراب مرير في جوارنا
أقبل الحلمُ الذي اشتهيناه
سريعاً نشوان لا يعرفُ الرحمه
ومن بين قدميه الصحراويتين
يتصاعدُ دخان البحار التي عبرناها
وحرائق الكتب التي قرأناها .
نخرجُ سويةً على الشاطئ
نتأملُ شعره المبلَّل
وفمه الذي يلتقط المطر كالعصفور
وهو يسيرُ أمامنا كقائدِ الشرذمه

مرحاً سعيداً
والوسخُ حول أذنيه يشبه الحواجب . .
* * *
في ربيع قديم . بلا أزهار
هبَّتْ رياح النشوه
سوداءَ مجنَّحه ، تومض كأسلحه على الحصى
تقلب الشموع والأرائك
والفلاح الأزرقُ العينين
يغطُّ في نوم عميق
وبخار الكلمات اللقيطه
يتصاعد من فمه وأذنيه ولحمه
كما يتصاعدُ الضباب في الوديان الخضراء .
* * *
الأسلحة كلُّها مشحوذةٌ قرب المدفأه
اللحم والنقود
وسفينة خيالية في جيبه .
* * *
ليستيقظْ ذلك الغريب
ليحمل قصائده بيديه
ويمضي بعيداً بعيداً كبائع البنفسج
العالم كله يطارد غريباً أزرق العينين .
* * *
أنقبرُهُ الليله ؟ ؟

هنا
في ينبوع العلم الأزرق
أم نتذكرُ سترته المقلمه
وأخوته المزدحمين كالجراد على النوافذ ؟ ؟

* * *

ـ أنا الكهلُ الدقيق الملامح
حاصدُ الأفكار المجهول
أريد أن أضمَّه كطفلي
أن أمرّر يدي على وجهه الحبيب
وأداعبَ حنجرته النافرة كالنهد
أي جرسٍ ينوح فيها ؟
أي هزارٍ يرقد فيها رقاد الفراعنه ؟

* * *

دعونا نفكِّر
نحن الأوزُّ السابح في أمواج الفكر
نحن الفقاقيعُ المطاردة بالمدافع
دعونا نفكر
أضيئوا الغلايين
أضيئوا الأحذية
دعونا نفكر
أنعيش كالديدان على فضلات حزنه وشموخه ؟
دعونا نضمَّه الى صدورنا حتى يختنق
ثمة ممر مجهول إلى حنجرته !!

يجب أن نقيده كالخروف
كقيصرٍ صغير
أن نطعنه بعشر زنود واثقة
ونشدَّ اللحم على الجانبين
حتى ينبثق الدم
وتخرجُ الكلمات القروية كلُّها من الأعماق .

وجه بين حذائين

القلوب الوحيدة تُقْذَفُ من النوافذ
النهودُ المهجورة تقذف من الحافلات
والطاولةُ الأرملة
تمدُّ رأسها من النافذة وتبكي .

* * *

كلماتٌ أردّدها كالمجنون
في المقاهي والحوانيت
تحت النجوم وتحت بصاقِ الملايين
دون أن يفهمني أحد
لا طفل ولا طائر
لا وحش ولا إنسان
من الصباح إلى المساء وذقني ترتجف
من الصباح إلى المساء وأنا أصرخ :
لقد ضاع زمان النبوغ
والانزلاق على السلالم الطويله
القملُ على الأزهار
القملُ على حطام الطائرات .

* * *

يخيَّل لي أنني أتهاوى على الأرصفه
سأموت عند المنعطفِ ذات ليله
وأصابعي تتلوَّى على الحجارة كديدان التفاح
دون أن ينظر إلي أحد .
انني أرى نهايتي
ألمح خنجراً ما في الظلام مصوباً إلى قلبي
عربةً مطفأه
تقلُّ طاولتي وأوراقي إلى عرض الصحراء .
ستهبُّ ريحٌ قوية آنذاك
تداعبُ أظافري القصيرة
وتكنِّسُ قصائدي في الشوارع كقشورِ الخضراوات .

* * *

ومن أنينها العميق
أسمعُ الضرباتِ الأخيرة لشعبي
أسمع موسيقى الأبواب المخلَّعة
وهي تغلق بالحراب
بالأصابع المجلّدة على أطراف الشوارب .
سأتأملُ القدم الغائصة في الوحل
وهي تقلبُ وجهي على الجانبين
لتعرف من أنا ؟
من هذا الغريب الميت في شوارعنا .

* * *

وعندما تهدأ رئتاي

وتغمضان كعينين جميلتين
وما من جديلةٍ تبعثرها الريح
أو عجوز تلمُّ أطرافي عن التراب
سأبكي بمرارة
وأعضُّ الأرض التي أهانتني
سأغرس أسناني حتى اللثَّة
في السهول التي شرَّدتني
وأتذكرُ الأمشاطَ الحمراء
والنهود المتشابكة كالأغصان في المنفى
وأمي التي تنتظر أوبتي من النافذة
كأنني ذبابةٌ أو فراشه .

* * *

سأمرّر يدي على خطوط الحافلات
على الأرصفة التي تسكعتُ عليها
والأبواب الصدئة التي اتكأتُ عليها
وأسمعُ قلبي وهو يهتفُ من أعماق الأرض المذنبة :
أنتقم لبأسك وكفاحك .
تذكّر دموعك في باحة المدرسه
وأصابعك التي اهترأتْ على قبضات الحقائب .
تذكرْ شقيقاتكِ النحيلات
وآذانهنَّ المثقوبة بالخيطان
ومتْ هكذا بين البحر والصحراء
أيها الفلاحُ الذي له عجرفةُ الملوك .

* * *

يخيلُ لي أنني أكثرُ الأموات كلاماً
لقد جئتُ متأخراً إلى هذا العالم
كزائر غريب بعد منتصف الليل
كان يجب أن أُخْلَقَ مع أولئك الرومانتيكيين القدامى
ذوي اللحى المتهدّلة
والياقات التي يأكلها العثُّ .
أن أعيش في تلك الأيام الغابره
سمكةً أو قاتلاً أو فراشه
أقطنُ في غرفةٍ من القرميد الأحمر
عند أولئك المرابياتِ الشقراوات
جواريرها من الأزهار
وجدرانها من مناقير البلابل وجماجم الأطفال
أحزمُ كتبي وأدواتي كالقمح خلف ظهري
وهراوة في حزامي
وأمضي داخلَ الغابات الخضراء
في الضباب والأوحال والمستنقعات
أحتسي الخمر
وآكل الحشائش والطيور النائمه
وأُقْذَفُ مع زجاجتي ومحبرتي كل ليلةٍ خارج الحانات .

هياج الفأر

ليكنْ وجهي أصفر كوجوه الموتى
فوقَ ظهري شجرةٌ من الأصابع
شجرةٌ من النار .
هذه شهوتي
سأبعثرها بقدمي
وأتصرفُ بفيضها
كما يتصرف المنتصرُ بأسلابه وأسراه .
لا مدفعَ ينتظرني
ولا امرأةٌ تبتسمُ لي عند الصباح
ماذا أعملُ أيام الحرب ؟
أيام الرَّخاء ؟
قيظٌ وفتوَّه
وأنهارٌ من الدم والشيب بين فخذي
لا أداعبُ أحداً ولا أقبل أحداً
سيفان مغروسان في الفراش
وأصابعُ مضمومةٌ كالقلنسوة أمام عينيَّ .

* * *

آه كم أودّ
أن آكلَ النساء بالملاعق
أن أقضمَ أكتافهنَّ كالفهد
الزوجاتِ الوحيدات
الزوجاتِ السمراوات
حاملاتِ الحليب والخضار
حاملاتِ الأطفال والسنانير .

* * *

أنا سيدُ الأحلام
وزعيم الأرائكِ الفارغه
أحلم بأصدقاء من الوحل
بأمطارٍ من النار
بجبل هائلٍ من النار فوق ظهري
تجلسُ على سفوحه كلُّ نساء الشرقِ الجميلات
ذواتِ الآباط الحليقه
والغدائر الممزوجة بالعطر والتوابل .
أحلم بامرأةٍ صغيرةٍ كالإصبع
هناك في البراري القرمزيه
حيث الأزهارُ ميته
والعصافيرُ تلمع كالأظافرِ على الأشجار .

الى عتبة بيت مجهول

نامي تحت الأعلام الممزَّقه
أيتها الحمامةُ المنسيه
الوحلُ يتهادى كالأمير
يتألَّقُ على سرجه الذهبي
والشتاءُ الأخير
ينحني كالمتسول على أقدامك يا بردى .

* * *

اذن سنموتُ على أرض أخرى
ولن تلمحوا دموعنا وأسمالنا ؟ ؟

* * *

أيتها العتبه
يا امرأةً متدليةً في الشارع . .
في الليل
حيث يجري عبيرك الأصمّ
وتتساقط دموعك الرماديه
أترنَّح أمامك كالسكيّر
أرنو بحسرةٍ إلى الثلوج العاصفه

والنيران التي تضيء لحمك المهاجر .

* * *

أيتها العتبةُ المستديرةُ كعين النسر
وأنا أكشطُ وحلَ الأيام المريبه
تبدين لي برتقالية وحزينة
وذات نكهة
شبيهةٍ بنكهةِ الحقول المزدحمة بالأشلاء
وفي ضوء القمر
أراك متصلّبة وناعمه
وذات عنق ملائكي
يرسل أنغامه الآسنةَ طوال الليل .
والرجالُ المشوَّهون
ذوو القبعات الكئيبه
يقرعون جلدك الأسمر المضيء
باحثين عن الوطن
وبراعمِ القمح المجندلة في الغبار .

* * *

سأضعُ خدَّي على رخامك البارد
وأداعبُ أصابعك المقهورة طوال الليل
لأسمعَ خطوات الشتاء الحزينه
وخفقاتِ النهود الرثّة أمام المرآة .
سأبكي أمام صدرك النحيل
واضعاً يدي في جيوبي

ولفافتي تضيء العالم .
سألثمُ المقاعد الفارغه
والمحابرَ المقلوبة حول جسدك الصغير
أيتها الحبيبة الشماليه
كوني أكثر انحناءً
أمام تراجع الأبطال . . يا ساقطه .
* * *
غريبةٌ أنتِ ومستلقيةٌ بهدوء عند أقدامنا
ولكنك ذليلةٌ ومفعمةٌ بالغدر
على لحمك الشفَّاف
نلمح أحواض الزهور وعرباتِ الأسرى
أيتها المنطويةُ على نفسها كعازف الناي
لا نريدُ قمحاً ولا رايات
نريدُ فقط أن نموتَ في قرانا البعيده
أن تبعثرنا الريح فوق قرانا البعيده
كالرسائل الممزقه .
* * *
يا عتبتي السمراء المشوّهه
لقد ماتوا جميعاً أهلي وأحبابي
ماتوا على مداخل القرى
وأصابعهم مغروسةٌ كالشوك في الريح .
* * *
لكنني سأعود ذات ليله

ومن غلاصمي
يفورُ دمُ النرجس والياسمين
لأنعقَ كالغراب بين نهديك الرماد يين
بين نهديك المقطوعين خارج الوطن
وأرسلَ نظراتي عبر الغرفة
وعبر جسدك المغطَّى بالحساء والشاي
سأدوسُ بقدمي رنينك المتواصل
وأثداءك المبعثرة على القمَّه .

* * *

لن أقرع الباب أبداً
سأصغي للريح . .
وهي تحملُ نجوى السفن وبكاء العصافير
وهي تحملُ رائحتكم الحبيبه .
لأرى وسادتي
وهي تنزف دمها كالطفل
والعيونَ الزرق الحافيه
تبكي مع عيون أخرى
في قاع الفراش
في قاع الوطن .

* * *

سأهجُركِ أبداً
كما تُهْجَرُ الجاريةُ في أسفل الوادي
سأمرُّ عليك بعد أعوام

زاحفاً من وراء الغابات
مبقَّعاً حتى فمي بالماء والجنون
لأنقش اسمك على حديد المدافع .

* * *

اقتربي مني يا صغيرتي
بلا هتاف أو رايات مخضَّبه
سأجتاز القمَّة حافياً
إنني مرهقٌ وخجول
وأصابعي منَّكسة في المقاهي .
بلادي صغيرةٌ وجائعه
وفمي مسيَّجٌ بالصهيل
أكتب إليها ولا أراها !!
يا صغيرتي . . ليكن جفاؤك عالياً كالنجوم
نحن رصاصُ الانحدار
والمحارمُ الوحيدةُ التي تلتقطُ دموعَ العالم .

النار والجليد

خذ لفافة وصفْ لي الحرب
خذ رغيفاً وصفْ لي قدميّ .

*   *   *

أيتها الدموعُ المسترسلة على الكتف
سأصف لك قوافل الريح والرصاص
لي براءةُ الحجل ومكرُ الجزَّار
ولكنني ظمآن
أكادُ أسقطُ في كل لحظه
انني أبتسم
وفوق ظهري سنمٌ من الدموع .

*   *   *

أيها الغبار الملكي
ترجَّل عن دفاتري الكئيبه
واسمع يا غبار :
أكره الخبز كما أكره السُّم
أكره الماء كما أكره الطاعون
ولكنني ظمآنُ وروحي تشتعل . .

ظمآنُ
وروحي معقوفةٌ كالصنبور !!
* * *
يا إلهي . . يا وردة الجليد والغبار !
ثمة جوعٌ منسيٌّ في أفواهنا
ثمة أثداء منسيَّةٌ في صدورنا .
أكره البغايا كما أكره السل
أكره العذارى كما أكره الطاعون
ولكنني أقعي ساعات طويلة
تحت المطر وخلف المداخن
علَّني ألمح رجلاً يقترب من زوجته
أو طفلة تحكُّ خصرها أمام المرآة .
* * *
أفكر أحياناً بالنصر والهزيمه
بالأبطال العظام
وهم يرفعونَ سراويلهم وراء الأسيجه
وهم يتثاءبون في دورات المياه !!
ما الفرقُ بين زهرةٍ على المائده
وزهرةٍ على القبر ؟
بين الخبز والتنك ؟
بين النهدِ والمطرقه ؟
بين أن يموتَ الانسانُ على رأس حمله
أو يموت وهو يتبرَّزُ متثائباً في إحدى الخرائب ؟ ؟ .
* * *

يا إلهي . . أغصانُ الكَرَزِ تطول
ترسل دمهاالعاري في القاطرات
وعيونُ الماعز الخضراء ، تبكي في ضوء القمر .
صيفٌ هنا وشتاءٌ هناك
والطيورُ الملطَّخة بالدم
تتكئُ على بعضها فوق الجثثِ والأظافرِ المدمّاه
ولا نعرف ماذا نعمل
أنحبُّ أم ننام ؟ ؟
أم نضعُ المرايا على مكامن الأبطال ؟ ؟

الدموع

تحت مطرِ الربيع الحار
أنتقل من مدينة إلى مدينه
وحقائبي مليئةٌ بالجراح والهزائم .

* * *

تحت مطرِ الربيع الحار
أسيرُ يا حبيبتي
وصدرك الشبيهُ بشجرةِ التفاح العاريه
يظلِّلُني كدخانِ القطارات .
لقد ودَّعت الكثيرين
ودَّعت بلادي
وسهولها المحترقة في الليل
هجرتُ رفاقي
والدم ينزف من صدورهم وأنوفهم
ولم أتنهّدْ
كنت أغرِّدُ كاليمامةِ فوق الجبال
أتثاءبُ في مآتم الشهداء
وأحدّق في أثداء الأمهاتِ الثكالى .

* * *

أيتها الطفلةُ المدببة كالرمح
لن أنسى ما حييت
وجهك المغطَّى بالدموع
يومَ افترقنا على ناصية الشارع
وأوراق الخريف تتساقطُ على معطفك الصغير
ولم تنظري إليّ !!
كنتِ تلتفتين إلى الوراء
عيناك مليئتان بالدموع
وشعرك مسترسلٌ كشعر الفرسان المقهورين .

* * *

هكذا أودّك يا حبيبتي
زهرةً برية أو يمامةً في عنقِ الريح
ولكنني يائسٌ حتى الموت
أتقهقرُ بلا روية على تلال الحبر
وأهدابك الجميله
تنحني على صفحاتي كعبيد في المراكب .
ولا كلمة للطفلة الغريبه
للعيون المتدفقة كالريح .
إنني أرى كل شيء
الأشرعةَ والرعد
القمرَ والريح والدماء
ونوافذَ السجون المطفأة عند الغروب
أرى كل شيء

إلا جديلتيك الحبيبتين .

* * *

أود أن أهيم فوق جسدك الصغير
وأسحقه كالورده
أن أرفعه بيدي كبندقية صغيرة فوق التلال
فاهدئي بجواري
أيتها الطفلة الغائبه
الفراش باردٌ ومظلم
ونهداكِ عصفوران من الجمر !!

أربع عيون مغمضة

هل اشتهيتَ امرأةً زرقاء
زرقاء كالريح ؟ ؟
هل تفرّست في أصابعها النحيله ؟
وشعرها المزيّن
بالأسلاك والمطر المهجور ؟ ؟
هل تفرّست في لحمها الخائن
وصدرِها المحشوّ بالأقمشة والخطّافات ؟ ؟
إنه لحمٌ عاديٌ ورقيع
كالذي نضربه بالسوط
ونأكله أيام الرعب والمجاعات !!
* * *
المرأة التي أحلم بها
لا تأكلُ ولا تشربُ ولا تنام
انها ترتعشُ فقط
ترتمي بين ذراعي وتستقيم
كسيف في آخر اهتزازه .
* * *

آه . . أين هؤلاء النسوة الرخيصات
من صبايانا القاسياتِ الخجولات
حيث لحمهنّ قاتمٌ ومريح
كسريرٍ من الدمع والمطر
حيث القشُّ والندى والسَّماق
يفورُ من حلماتهنّ
كما يفور الدمُ من الوريد الى الوريد .

* * *

المرأة هناك
شعرها يطول كالعشب
يزهرُ ويتجعد
يذوي ويصفرّ
ويرخي بذوره على الكتفين
ويسقطُ بين يديك كالدمع .

* * *

النهدُ هناك
مجهول وغائم كالأحراش
ينفتح أمامك . . كغيمه .
كغيمة يخترقها عصفور .
أينما ذهبت في الفضاء الواسع
كرومٌ وينابيع وأمطار
حقولٌ ونسيم وشرف
أما هنا

فللمرأة رائحةُ الدم وعبير المقصله
النهدُ هناك صغيرٌ كالزهره
والنهدُ هنا كبيرٌ كالرأس .

* * *

كن وحيداً في الريف
بين القمر والأكواخ
وخذْ فتاتك الخجولة وراء الغدير
تحت شجره
أو غرّافٍ تعشّشُ فيه النجوم والعصافير .
هناك تنفضُ عن نفسها الغبار
تغسلُ وجهها وساقيها بالراحتين
تمدُّ لك فراشاً من العشب والخَرَزِ وصُرَرِ الطعام
وتنبضُ بين ذراعيك حتى الصباح
دون أن تلتقي عيناك بعينيها !!
قد تنال منها حتى أحشاءها
دون أن تلتقي عيناك بعينيها !!

بكاء الثعبان

عندما نستيقظُ ولا نجد من نحبُّ
ونفكر بالأيام الطويله
التي قضيناها في الحنين والتسكع
وقذف الجوارب المبللة في الزوايا . .
لا نفكرّ بالخدود الناعمه
وأوراق الشجر في الغابات
ولكننا نفكرّ بالوحل والدم
بالأسنان النخره
والفطائر المقذوفةِ عن صهوات الجياد

* * *

في الصباح الباكر
حيث الأرض الغائمةُ والسماء الصفراء
عندما نستيقظ
ولا نجد غير الأرصفة الساطعة والبصاق الجاف
حيث الطيورُ الهزيله
تنطلق في الفضاء الأربد
والعمش يغطي عيونها الصغيرة البرّاقه

وما من وردةٍ على الجليد
أو طائرٍ من الصحراء . . .
لا نفكر بالحقد والأسلاب المبعثره
ولكننا نفكرُ بالريح
بجماجم الأزهار
والقبورِ التي تنفتحُ فجأةً كالنوافذ .

* * *

في الصباح الباكر
حيث الغددُ خارجةٌ من الفم
وأسنانُ الشتاء الناعمه
تقضم أطراف الغيوم كديدان القز
وما من وردةٍ على الجليد
أو رسالةٍ من الصحراء
والأفق جبالٌ من الشعر والصابون والدم
ليس لنا
إلا احتضان القصائد
وضمَّها إلى صدورنا كالأطفال .

* * *

لقد هدّتنا الأيام يا صغيرتي
بغلايين معبَّأةٍ حتى الأنف
نبدأُ أيامنا
بغلايين استنفد منها حتى الخشب
تنتهي أيامنا .

إلى ماسح الأحذية في الفيضانات
إلى المحطاتِ البعيدة في الزمهرير
أسرع أسرع . . .
المطر ينهمر ، والطيور هزيلةٌ كالعيدان
أسرع أسرع . .
الثلج ينهمرُ ، والصحراء البعيده
تنتظر مورّدة الخدين في المنزل .

* * *

نحن الأطفال الكبار
قارعو النهود بالسلاميّات
عندما نستيقظُ ولا نجدُ من نحبّ
ونتذكرُ الحواجب الصغيره
والنهود الملطّخة بالحبر في الشمال
ليس لنا إلا النواح الحزين
القبض على القصائد . . . وخنقها كالعصافير
القبض على الرَّحم وشدّه كحلقةِ الباب

* * *

على الطفلِ الضاحك
والطفل الحزين
أن ينهض مبكراً كالفراشة
أن يقعي حزيناً على حافة السرير
بخدوده الموردة وأنفه المغطّى بالحليب
ويدعو إلى الله أن يعيد الأيام الخوالي

أن يعيدَ الطاولات القديمه
والأصابع الأولى .

* * *

نحن الغرباء
حاملو الحقائب والأوراق المخضّبه
لن نعرفَ الشفقةَ إذا سيطرنا
لن نعرفَ الآلهة إذا شبعنا
ونحن نتثاءبُ
نحرك عظامَ القصائد
ونحن نضحك
نحرّك دموعنا بالدبابيس وناكشاتِ الأسنان .

سماء الحبر الجرداء

ثلاثة رماحٍ تحت المطر . .
ثلاثةُ رماح في قلبي . .
هذي هي أغنياتي الأخيرة
هذا هو نشيدُ الانكسار .

* * *

يا طيوري الزرقاء المهاجره
إنك باردةٌ كالصقيع
تذكّرينني بالليل والأثداء المحتقنةِ في الخريف
بنوافذ القرى المطفأة . .
وبكاء الجنود في المدن الغريبه .

* * *

لقد انتهيت
الدخان يتصاعدُ من قلبي .
يا سماءَ الحبر الجرداء
أمامن غيمةٍ عابرة ؟ ؟
أما من عرزالٍ صغيرٍ على سفوح الألم ؟
أنام على الشوك ، وينامون على الحرير

أكتبُ عن المرأةِ والنجومِ والشهوة
وأعشقُ فضلاتِ الشوارع
لقد سئمتُكِ يا بيروت
يا سرطاناً من الحرير
لا المرأة ولا الحريه
لا الشرفُ ولا المال
يزيلُ هذا اليأس من قلبي
دعيني أحتضر فوق الجبال
دعيني أرفرفُ كالنسر بين الأقدام .

* * *

وأنتم يا أعدائي وأحبابي
يا من تقرؤنني فوق السروج والصهوات
يا من تقتاتون على حزني كالكلاب الضارية
سأقذفُ هذا القلم إلى الريح
سأدفنه كالطائر
بين الثلوج البيضاء
وأمضي على فرسٍ من الحبر
ولن أعود . . .

في يوم غائم

لا أريدُ أن أشكر
ولا أريدُ أن أبتسم
سأضربُ المائدة بسوطي
وأصفع الأبواب خلفي بجنون .
أريد أن أغنّي وأهاجر
أن أنهب وآكل وأثور
هذا من حقي
لقد ولدتُ حراً كالآخرين
بأصابعَ كاملةٍ ، وأضلاعَ كامله
ولكنني لن أموت
دون أن أغرق العالم بدموعي
وأقذف السُفُن بقدمي كالحصى .

* * *

ولدتُ عارياً ، وشبَبْتُ عارياً
كالرمح
كالانسان البدائي
سأنزعُ جلود الآخرين وأرتديها

سأنزع جلود السحب والأزهار والعصافير
وأرتديها
محتمياً بالضباب والأنين
بالأعلام الممزَّقة ، والأثداء الملفوفة بالجوارب
إذا كان لا يريدُ أن يرأفَ بي
أن يشبعني التبغ والنساء
وجَلدَ الخيول في المنحدرات
لماذا خلقني ؟
وهل كنتُ أوقظُهُ بسبَّابتي كي يخلقني ؟
* * *
كل امرأةٍ في الطريق هي لي
كل نهدٍ وكل سرير
هو لي . . لعائلتي ، لرفاقي الجائعين
طالما لنا شفاهٌ وأصابع كالآخرين
ودماء فوارة كالآخرين
يجب أن نأكلَ ونحبَّ ونهجر
ونقذف فضلات الأثداء خلف ظهورنا .
* * *
ليكفَّ عن تعذيبنا كالصراصير
لينزع رحمته عن أكتافنا
كما تنزعُ الأوسمةُ عن الخائن
ساعة أستلقي وحيداً في ليالي الشتاء
في ليالي الصيف

غائصاً في فراشي النتن
وقدماي بارزتانِ كنابَيْ الفيل
وأفكّر بالملايين المعذَّبه
بالزلازل والطغيان
بالأزهار المسلوقه
وخشخشةِ رسائلِ الغرام في الصحارى
ساعة أمدُّ رأسي من النافذه
وألمح المطر ، والنهود التي يغطيها العشب
والشعراء الموتى مبعثرين على الثلوج البيضاء
أتمنى أن أمسكَ هذه الأرض من جلدها
وأقذفها كالهرة من النافذة .

* * *

ولكنني وأنا أحتضر
وأنا أسبحُ في قبري كالمحراث
سأموتُ وأنا أتثاءب
وأنا أشتم
وأنا أهرِّج
وأنا أبكي . . .

النسور العالية تفترق بغضب

لأن ما كُتِب قد كُتِب
وما يجبُ أن يقالَ قد قيل
أنت للشارع
وأنت للنار
يا أشعارَ المنفى يا أجراسَ العار
إن لك رائحةَ الثياب العتيقه
ورائحةَ الضماداتِ المنزوعةِ بغضب
أين عرقُ الأصابع ولزوجةُ الصيف ؟
أين الغضبُ والجنون
وتلك الضربات القاتلةُ في الصدغين ؟
أأنتِ جراحي وآلامي ؟
أأنتِ عربات الريح . . وأسنانُ المطر ؟
إنكِ لستِ إلاّ بضع اقّاتٍ
من الحبر والكسل والفوضى
أقذفكِ في وجه الرمال السافية كورقِ اللعب
ولكنك خاسرةٌ أبداً !!

* * *

أيتها النسورُ المهلهلة
هل أطليكِ بالمراهم ؟
كانت حروفك جميلة ونضرة
تستيقظُ منذ الصباح
تضرب أصابعي بمناقيرها كالعصافير
تلهثُ على السطور المنحنيةِ ككلاب الصيد .
وها هي الآن
هزيلة وناعسة
كعيونٍ تغطّيها مناتُ الحواجب .

* * *

سيدي الشعر . .
هذه الآلام . . هذه الدموعُ اليابسه
والتي يمكن تحطيمها كالدُّحل على الأرصفه
هذه الدموع المحفوظة من شتاءٍ إلى شتاء
ومن خريفٍ إلى خريف
كخواتمِ العشاق الموتى . .
ليست هي ما أريد
لأنها دموعٌ كاذبة
دموعٌ مدراره
لصقناها بقوة الرصاص على خدودنا
إليَّ أيتها الكلمات الدَّميمه
فلن نلفظَ أنفاسنا تحت النجوم
ولن تكونَ دموعنا سماداً لأزهار الآخرين

سنقوم برحلةٍ ملكيةٍ إلى الشرفه
سأطلقكِ عالياً في الفضاء
كما تطلقُ الغجريةُ زغاريدها في الغابات .

* * *

خبئي جراحك
بين القوادم وتحت عضلةِ الذيل
وحلّقي بغضب
كغيومٍ لا أرجلَ لها
كغيومٍ تشمئزُّ منها البحار .

* * *

ثم اسقطي بهدوء . . كالمناديلِ الحريرية
كأنك في سباتٍ عميق
ولتكن أرجلك حافيةً ومهملة
كأرجلِ البدو
مقلوبة إلى أعلى كطفل ضُرِبَ على يده .

الفرح ليس مهنتي

من العتبة إلى السماء

الآن
والمطرُ الحزين
يغمرُ وجهي الحزين
أحلم بسلّمٍ من الغبار
من الظهورِ المحدودبه
والراحاتِ المضغوطةِ على الركب
لأصعدَ إلى أعالي السماء
وأعرف
أين تذهبُ آهاتنا وصلواتنا ؟
آه يا حبيبتي
لابد أن تكون
كل الآهاتِ والصلوات
كل التنهدات والاستغاثات
المنطلقة
من ملايين الأفواه والصدور
وعبر آلاف السنين والقرون
متجمعةً في مكانٍ ما من السماء . . . كالغيوم

ولربما
كانت كلماتي الآن
قربَ كلماتِ المسيح
فلننتظر بكاء السماء
يا حبيبتي

حلم

منذ أن خُلقَ البردُ والأبواب المغلقه
وأنا أمدّ يدي كالأعمى
بحثاً عن جدار
أو امرأةٍ تؤويني
ولكن ماذا تفعل الغزالةُ العمياء
بالنبع الجاري ؟
والبلبلُ الأسير
بالأفقِ الذي يلامسُ قضبانه ؟

في عصر الذرةِ والعقولِ الالكترونيه
في زمنِ العطر والغناء والأضواءِ الخافته
كنتُ أحدّثها عن حداءِ البدو
والسفر إلى الصحراء
على ظهورِ الجمال
ونهداها يصغيان إليّ
كما يصغي الأطفال الصغار
لحديثٍ ممتعٍ حول الموقد

كنا نحلم بالصحراء
كما يحلم الراهبُ بالمضاجعه
واليتيمُ بالمزمار
وكنت أقول لها وأنا أرسل
نظراتي إلى الأفق البعيد .
هناك نتكئ على الرمال الزرقاء
وننام صامتَين حتى الصباح
لا لأن الكلماتِ قليله
ولكن لأن الفراشاتِ المتعبه
تنامُ على شفاهنا .
غداً يا حبيبتي غداً
نستيقظ مبكرين
مع الملاحين وأشرعة البحر
ونرتفعُ مع الريح كالطيور
كالدماءِ عند الغضب
ونهوي على الصحراء
كما يهوي الفمُ على الفم

ونمنا متعانقين طوال الليل
وأيدينا على حقائبنا
وفي الصباح أقْلَعْنا عن السفر
لأن الصحراء كانت في قلبينا .

الغجري المعلَّب

بدون النظر إلى ساعة الحائط
أو مفكرةِ الجيب
أعرف مواعيد صراخي .
وأنا هائمٌ في الطرقات
أصافح هذا وأودِّعُ ذاك
أنظر خلسةً إلى الشرفاتِ العاليه
إلى الأماكن التي ستبلغها أظافري وأسناني
في الثوراتِ المقبله
فأنا لم أجعْ صدفه
ولم أتشرّد ترفاً أو اعتباطاً
« ما من سنبلةٍ في التاريخ
إلا وعليها قطرةٌ من لُعابي » .

أعرفُ أن مستقبلي ظلام
وأنيابي شموع
أعرف أن حد الرغيف
سيغدو بصلابة الخنجر

وأن نهرَ الجائعين سوفَ يهدرُ ذات يوم
بأشرعتهِ الداميه
وفرائصه الغبراء
فأنا نبيٌّ لا ينقصني إلا اللحية والعكاز والصحراء
ولكنني سأظلُّ شاكي السلاح
في « قادسية العجين »
في « واترلو الحساء » التي يخوضها العالم
هكذا خلقني الله
سفينةً وعاصفه
غابةً وحطابا
زنجياً بمختلف الألوان كالشفق ، كالربيع
في دمي رقصة الفالس
وفي عظامي عويلُ كربلاء
وما من قوةٍ في العالم
ترغمني على محبةِ ما لا أحبّ
وكراهية ما لا أكره
مادام هناك
تبغٌ وثقابٌ وشوارع . . .

خريف الأقنعة

أيها المارّه
إخلوا الشوارعَ من العذارى
والنساء المحجبات . . .
سأخرجُ من بيتي عارياً
وأعودُ إلى غابتي .

محال . . محال
أن أتخيَّلُ نفسي
إلا نهراً في صحراء
أو سفينةً في بحر
أو . . قرداً في غابه
يقطفُ الثمار الفجَّه
ويلقي بها على رؤوس المارّه
وهو يقفزُ ضاحكاً مصفقاً
من غصنٍ إلى غصنٍ .

أنا لا أحمل هويةً في جيبي

ولا موعداً في ذاكرتي
أنا لم أجلسْ في مقهى
ولم أتسكعْ على رصيف
أنا طفل
ها أنا أمدُّ جسدي بصعوبه
لأدفن أسناني اللبنية في شقوق الجدران
أنا شيخ
ها ظهري ينحني
والمارة يأخذون بيدي
أنا أمير
ها سيفي يتدلّى
وجوادي يصهلُ على التلال
أنا متسوِّل
ها أنا أشحذ أسناني على الأرصفه
وألحقُ المارةَ من شارع إلى شارع
أنا بطل . . أين شعبي ؟
أنا خائن . . أين مشنقتي ؟
أنا حذاء . . أين طريقي ؟

سلمية

سلمية : الدمعةُ التي ذرفها الرومان
على أوَّلِ أسير فكَّ قيوده بأسنانه
ومات حنيناً إليها .
سلمية . . الطفلةُ التي تعثَّرَتْ بطرف أوروبا
وهي تلهو بأقراطها الفاطميه
وشعرها الذهبي
وظلَّتْ جاثيةً وباكيةً منذ ذلك الحين :
دميتُها في البحر
وأصابعها في الصحراء .

يحدُّها من الشمال الرعب
ومن الجنوب الحزن
ومن الشرق الغبار
ومن الغرب . . الأطلالُ والغربان
فصولُها متقابلةٌ أبداً
كعيون حزينةٍ في قطار .
نوافذها مفتوحةٌ أبداً

كأفواهٍ تنادي . . أفواه تلبي النداء
في كل حفنةٍ من ترابها
جناحُ فراشة أو قيدُ أسير
حرفٌ للمتنبي أو سوط للحجاج
أسنانُ خليفة ، أو دمعةُ يتيم
زهورها لا تتفتَّحُ في الرمال
لأن الأشرعةَ مطويةٌ في براعمها
لسنابلها أطواقٌ من النمل
ولكنها لا تعرفُ الجوع أبداً
لأن أطفالها بعددِ غيومها
لكلِّ مصباح فراشه
ولكل خروفٍ جَرَس
ولكلِّ عجوز موقدٌ وعباءة
ولكنها حزينةٌ أبداً
لأن طيورها بلا مأوى

كلما هبَّ النسيم في الليل
ارتجفت ستائرها كالعيون المطروفه
كلما مرَّ قطارٌ في الليل
اهتزتْ بيوتها الحزينةُ المطفأه
كسلسلةٍ من الحقائب المعلقة في الريح
والنجومُ أصابع مفتوحة لالتقاطها
مفتوحة ـ منذ الأبد ـ لالتقاطها .

الحصار

دموعي زرقاء
من كثرةِ ما نظرتُ إلى السماء وبكيت
دموعي صفراء
من طولِ ما حلمتُ بالسنابلِ الذهبيةِ
وبكيت

فليذهبْ القادةُ إلى الحروب
والعشاقُ إلى الغابات
والعلماءُ إلى المختبرات
أما أنا
فسأبحث عن مسبحةٍ وكرسيٍّ عتيق . . .
لأعودَ كما كنت ،
حاجباً قديماً على باب الحزن
ما دامت كل الكتب والدساتير والأديان
تؤكدُ أنني لن أموت
إلا جائعاً أو سجيناً

على هذه الأرصفةِ الحنونة كأمي
أضع يدي وأقسم بليالي الشتاء الطويله :
سأنتزعُ علم بلادي عن ساريته
وأخيط له أكماماً وأزرارا
وأرتديه كالقميص
إذا لم أعرفْ
في أيِّ خريفٍ تسقطُ أسمالي .
وإنني مع أول عاصفة تهبُّ على الوطن
سأصعد أحد التلال
القريبة من التاريخ
وأقذف سيفي إلى قبضةِ طارق
ورأسي إلى صدر الخنساء
وقلمي إلى أصابع المتنبي
وأجلس عارياً كالشجرة في الشتاء
حتى أعرف متى تنبتُ لنا
أهدابٌ جديدة ، ودموعٌ جديده
في الربيع ؟

وطني أيها الذئب الملوي كالشجرة إلى الوراء
إليك هذه «الصور الفوتوغرافية»
للمناسف والاهراءات
وهذه الطيور المغردة ، والأشرعة المسافره
على «طوابع البريد»
اليك هذه الجحافل المنتصره
والجياد الصاهلة على الزجاجِ المعشّق
ووبر السجاد
اليك هذه الأظافر المدّخره
في نهاية الأصابعِ كأموال اليتامى
بها سأكشطُ خطواتي عن الأرصفه
سأبتر قدميّ من فوق الكاحلين
وألقي بهما في الأنهار
في صناديق البريد
وأظل أقفزُ كالجندب
حتى يعود عهد الفروسية
والانذار قبل الطعنه .

بدوي يبحث عن بلاد بدوية

أيها الفراشُ الباردُ والمظلم كالزقاق
آه كم أتمنى لو أشجّكَ بفأس
أين الشفاهُ التي قبلتها ؟
والنهودُ التي داعبتُها ؟
كأنَّ القدرَ يصوِّبُ مسدساً إلى ظهري
ويسلبني كلَّ شيء في وضح النهار .

آه كم أتمنى . . لو أستيقظُ ذات صباح
فأرى المقاهي والمدارس والجامعات
مستنقعاتٍ وطحالبَ ساكنه
خياماً تنبحُ حولها الكلاب
لأجدَ المدن والحدائق والبرلمانات
كثباناً رمليه
آباراً ينتشل الأعراب ماءهم منها بالدلاء .

آه كم أتمنى لو أكونُ في هذه اللحظه
محموماً في قرية بعيده

على سريرٍ غريب
وتحتَ سقفٍ غريب
وامرأة عجوز لم تقع عيناي عليها من قبل
تسألني ،
وهي تعصرُ منديلها المبلّل فوق جبيني :
من أي بلاد أنت يا بني ؟
فأجيبها والدموعُ تملأ عيني :
آه يا جدتي . . . .

أمير من المطر، وحاشية من الغبار

١ ـ الشبح الصغير

أنت يا من تداعبُ خيوط المطر
كالنسّاجِ الأعمى
وتتلّمسُ بقايا الجداول الزرقاء
كضريرٍ يتعرَّف على ملامحِ أحفاده
من أنت ؟
أيتها الشوارع
أيتها الحانات
من هذا الشبحُ الراقدُ على الأرصفه
والنمل
يتجاذبُ مسبحته ومنديله
وخصلاتِ شعره ؟
ـ انه بردى
ـ بردى ؟
لا أذكر أخاً أو صديقاً بهذا الاسم
أهو صندوقٌ أم جدار ؟

ـ مولاي
انه بردى . . .
النهر الذي ترافقه الزهور العطشى
من نبعه إلى مصبِّه
ـ ليراجعْني غداً
في مكتبي القائم بين الأرصفه
علَّني أجد له ميتماً بحرياً
أو سحابةً شمطاء تتبناه
ـ مولاي
انه ليس متسولاً يا مولاي
انه بردى . . .
بردى الألثغُ الصغير
كَبُرَ وشبَّ
واهترأتْ مريلتُهُ الخضراء على صدره
ولم يعدْ يغادر مجراه
حتى في الليالي المقمره
حتى في أيام العُطل والآحاد
انه يعتذر عن جريانه القديم . . .
يضمُّ راحتيه إلى صدره
ويفتحهما باكياً ، كالراهبة المغتصبه
من أجل سفينةٍ ورقيه
أو سنونو . . يرشف ماءه ويطير !
ـ ليكنْ

لقد وهبه الله
كل ما يحلم به نهرٌ صغير
من الطبقة المتوسطه
الوحل والبعوض والربيع
ولكنه أتى على كل شيء
في حقبةٍ واحده
أروع مطرٍ في التاريخ
أجمل سحب الشرق العاليه
بدَّدها على الغرغرةِ وغسلِ الموتى
ليراجعْني غداً
في مكتبي القائم بين الرياح
وطلبُ الاسترحامَ
ملصوقٌ على ضفتيه
ان جلد النسر المعلَّقِ على الحائط
لا يثيرُ شفقتي
بل يذكِّرني
بدمِ أشلائه وصرخات ضحاياه

٢ـ الشبح الكبير

وأنت يا جدتي الحزينه
ماذا تفعلين في مثل هذه الساعه
بملاءتك المرقعةِ وسالفيك الأشيبين ؟
هل أضعتِ مسبحتك
وأنت تنقلينها من جيبٍ إلى جيب ؟
أم طردك أحفادُك
وأنتِ منهمكةٌ في القيل والقالِ ومضغ المخللات ؟
أيتها الأرض
أيتها السماء
من هذه العجوز الجامدةُ عند المنعطف ؟
والبعوضُ يحوّم فوق رأسها
كأنه مصباحٌ أو مستنقع !!
إنها لا تسألُ ولا تجيب
وإنما تهزُّ رأسها يمنةً ويسره
وهي تعلكُ حجابها المبلّل بالدمع .
ـ انها دمشق
ـ دمشق ؟ لا أعرفُ أماً أو شقيقةً بهذا الاسم
أهي خزانةٌ أم مطرقةٌ أم مرآة ؟ ؟
ـ انها مدينتك يا مولاي
ـ مدينتي ؟ لا مدينة لي سوى جيوبي
ـ مدينتُك وطنك . .

ـ وطني ؟ لا وطن لي
سوى هذه البقع والخربشات على الخرائط
وهذا الدخانُ الذي أنفثه من
شفتي كل لحظة . .
ـ بلى يا مولاي
تذكر الحواري الضيقة وأشباح المقابر
لحم الجمل وأزهارَ اللوز
تذكَّر الصباحاتِ الباردة
والأيدي المحمرَّة من صفْعِ المساطر
وإبر الجدّات المسنَّات .
ـ بلى . بلى
تذكرتُها
دمشق المناسفِ والاهراءات
دمشق البيضه المسلوقه
والرغيف المطوي « بعناية » في حقيبةِ المدرسه
دمشق الخيول الجامحه
والسفن التي تسد وجه الأفقَ
دمشق الغبار
والدراجة المسنودة على الحائط
دمشق النجوم والمشاعل المضاءة على ذرى الأورال
دمشق الليل . . والقنديل المطفأ بالشفتين
دمشق الحداء والخناجر الممسوحة برايات كسرى
دمشق التأتأه

والبصمات الممسوحة بالركب وقوائم الطاولات .
دمشق المنتصبة على شواطئ الأطلسي
دمشق المحدودبه أمام الصنبور
دمشق الوحل ، النجوم ، فقاقيع الحمى
أشلاء الثوار
اضربوها بالحجاره
دعوا الأطفال يتحلَّقون حولها
وألسنتهم ناتئةٌ من بين الأسنان
ليعلِّقوا في ملاءتها صفائحَ التنك
وهم يرقصون ضاحكين هازئين
عندما انتزعوني من سريري الغافي ،
وأنا أغطّ كفراشةٍ على زهرة
ورحتُ أنبض آلاف السنين
كحشرةٍ مقلوبةٍ على ظهرها
تشبثتُ بجدرانها
بحلقاتِ أبوابها
بلحى شيوخها وأثداءِ نسائها
وأنا أنظر إليها باكياً متوسلاً
كما كان العبدُ المطوق بالحراب
ينظر إلى أمه الطبيعه .
قلت لها عطشانُ يا دمشق
قالت : اشربْ دموعك
قلت لها : جوعانُ يا دمشق

قالت : كلُّ حذائي .
- وماذا قلت لها
- لا شيء
أطرقتْ في الأرصفة وبكيت .
- والآن
- والآن قولوا لها ان الأغنيةَ التي غادرتْ حنجرتها
قبل آلاف السنين
قد بلغتْ حافةَ القيثاره
وأن الأصابعَ التي كانت تُبْتَر
مع الأغصان الزائده
عن أسوار الحصون والقلاع
تتجمَّعُ الآن على هوامش الصفحات
تجمُّعَ البحارةِ على الشواطئ
قولوا لها كلَّ شيء يا رجال
باسم الآباء والأجداد
باسم القطط والكلاب
ولكن ليس باسمي
سأظلُّ مع القضايا الخاسرة حتى الموت
سأظل مع الأغصان الجرداء حتى تزهر
مع دمشق القديمة كملامحي
مع العتبات الرطبه
والسعال المصطنع قبل دخول الأبواب
كيف أهجرها

وقدماي منغرستانِ في أرصفتها
كنابين في لثّة
كيف أنساها
وقد تركت آثارها على جلدي وصفحاتي
كما يترك التبغ آثاره على الاصبعين :
كما يطلُّ النسر على فراخه
كنت أطلُّ على أرصفتها كل صباح
ما من حصاةٍ في الطريق
إلا وقذفتها بقدمي
ما من صنبورٍ في حاراتها الضيقه
إلا وشربت منه بفمي
ما من حارسٍ ليليّ أو بائع صبار
في لياليها المقمره
إلا وسامرتُهُ وسامرني
ما من مزلاجٍ في أبوابها العتيقه
إلا وداعبته بجبهتي وأصابعي
ولكن ما من بابٍ مغلق
فتح ذات ليله
وقال أهلاً أيها الغريب
اضربوها بالسياط
اطردوها من الأبواب
والكتب والحانات والأعراس والمآتم
وأغلقوا في وجهها كل أبواب العالم

لتظلَّ وحيدة كالريح . . . كالله
ولكن
اسملوا عينيَّ قبل أن تفعلوا ذلك
إنني أحبُّها يا رجال
ولن أخونها
ولو ذرفت الكسور الدَّورية للدموع .

الظل والهجير

كلُّ حقولِ العالم
ضدّ شفتين صغيرتين
كل شوارع التاريخ
ضدّ قدمين حافيتين

حبيبتي
هم يسافرون ونحن ننتظر
هم يملكون المشانق
ونحن نملك الأعناق
هم يملكون اللآلئ
ونحن نملكُ النَّمَشَ والتواليل
هم يملكون الليل والفجر والعصر والنهار
ونحن نملك الجلد والعظام .

نزرعُ في الهجير ويأكلون في الظل
أسنانهم بيضاء كالأرز
وأسناننا موحشةٌ كالغابات

صدورهم ناعمةٌ كالحرير
وصدورنا غبراء كساحات الاعدام
ومع ذلك فنحن ملوكُ العالم :
بيوتهم مغمورةٌ بأوراق المصنفات
وبيوتنا مغمورة بأوراق الخريف
في جيوبهم عناوين الخونة واللصوص
وفي جيوبنا عناوين الرعد والأنهار
هم يملكون النوافذ
ونحن نملك الرياح
هم يملكون السفن
ونحن نملك الأمواج
هم يملكون الأوسمه
ونحن نملك الوحل
هم يملكون الأسوار والشرفات
ونحن نملك الحبالَ والخناجر
والآن ،
هيا لننامَ على الأرصفة يا حبيبتي .

خوف ساعي البريد

أيها السجناءُ في كل مكان
ابعثوا لي بكلِّ ما عندكم
من رعب وعويلٍ وضجر

أيها الصيادون على كل شاطئ
ابعثوا لي بكل ما لديكم
من شِباكٍ فارغةٍ ودوار بحر

أيها الفلاحون في كل أرض
ابعثوا لي بكل ما عندكم
من زهورٍ وخِرَقٍ باليه
بكل النهود التي مُزِّقت
والبطون التي بُقِرَتْ
والأظافر التي اقتُلِعَتْ
إلى عنواني . . في أي مقهى
في أيّ شارع في العالم
إنني أعدّ « ملفاً ضخماً »

عن العذاب البشري
لأرفعَهُ إلى الله
فور توقيعه بشفاهِ الجياع
وأهداب المنتظرين
ولكن يا أيها التعساءُ في كل مكان
جُلَّ ما أخشاه
أن يكون الله «أُميًّاً»

أيها السائح

طفولتي بعيدة . . . وكهولتي بعيده . . .
وطني بعيد . . . ومنفاي بعيد
أيها السائح
أعطني منظارك المقرِّب
علّني ألمح يداً أو محرمةً في هذا الكون تومىءُ إليّ
صورني وأنا أبكي
وأنا أقعي بأسمالي أمام عتبة الفندق
وأكتبْ على قفا الصورة :
هذا شاعرٌ من الشرق .

ضعْ منديلك الأبيضَ على الرصيف
واجلسْ إلى جانبي تحت هذا المطر الحنون
لأبوح لك بسر خطير :
اصرفْ ادلآءك ومرشديك
والقِ إلى الوحل . . إلى النار
بكل ما كتبت من حواشٍ وانطباعات
إن أيّ فلاح عجوز

يروي لك « بيتين من العتابا »
كل تاريخ الشرق
وهو يدرج لفافته أمام خيمته .

واجبات منزلية

وأنا في خريف العمر
والشيخوخةُ البيضاءُ بدأتْ تمسُ جبيني
كالياسمين الدمشقي عند كل منعطف
من يُوليني اهتمامه ؟
أديري قرص الهاتف يا حبيبتي
واطلبي ، مزيداً من الرعب والعذاب
لم أعد أبالي
مستقبلي في قبري
وجمهوري الوحيدُ هو ظلي
في الطريق اليه
لا
اطلبي لي كوفيةً وعقالاً
وصحراء لا حدود لها
لأعودَ إلى الماضي
وأحضر ملفَّ دموعي ورقم خدي
لا
اعطيني هويتي ودفتر عناويني

وجواز سفري
سأصفّها حول جبيني
وأجلس متربعاً وسط المدينه
كزعيم إحدى القبائل المتوحشه
وأبادلها بالخرز والمرايا الملونه
لا اغرسي كلاّبةً في شفتي السفلى
وجرّيني كالجثه النافقه
إلى ضواحي المدينه
ودحرجيني في أحد الوديان .
وإذا ما لمحك علمُ بلادي المختال
فوق ساريته
اعبري بسرعه
كالمَدين أمام حانوت مُدينِه .

بعد تفكير طويل

انزعوا الأرصفه
لم تعدْ لي غايةٌ أسعى إليها
كل شوارع أوروبا
تسكعتُها في فراشي
أجملُ نساء التاريخ
ضاجعتهنَّ وأنا ساهمٌ في زوايا المقهى

قولوا لوطني الصغير والجارح كالنمر
انني أرفعُ سبابتي كتلميذ
طالباً الموت أو الرحيل
ولكن
لي بذمته بضعةُ أناشيدَ عتيقه
من أيام الطفوله
وأريدها الآن
لن أصعدَ قطاراً
ولن أقول وداعاً
ما لم يُعِدْها إلي حرفاً حرفاً

ونقطة نقطه
وإذا كان لا يريد أن يراني
أو يأنف من مجادلتي أمام الماره
فليخاطبْني من وراء جدار
ليضعها في صُرَّةٍ عتيقةٍ أمام عتبه
أو وراء شجرة ما
وأنا أهرعُ لالتقاطها كالكلب
ما دامت كلمة الحرية في لغتي
على هيئة كرسيٍّ صغيرٍ للاعدام .
قولوا لهذا التابوت الممدد حتى شواطئ الأطلسي
إنني لا أملكُ ثمن المنديل لأرثيه
من ساحات الرَّجم في مكه
إلى قاعاتِ الرقص في غرناطه
جراحُ مكسورةٌ بشعر الصدر
وأوسمةٌ لم يبقَ منها سوى الخطافات
الصحارى خاليةٌ من الغربان
البساتينُ خاليةٌ من الزهور
السجون خالية من الاستغاثات
الأزقة خالية من الماره
لاشيء غير الغبار
يعلو ويهبط كثدي المصارع
فاهربي أيتها الغيوم
فأرصفةُ الوطن
لم تعد جديرةً حتى بالوحل .

كل العيون نحو الأفق

مذ كانت رائحةُ الخبز
شهيةً كالورد
كرائحة الأوطان على ثياب المسافرين
وأنا أسرِّحُ شعري كل صباح
وأرتدي أجمل ثيابي
وأهرع كالعاشقِ في موعده الأول
لانتظارها
لانتظار الثورة التي يبستْ
قدماي بإنتظارها

من أجلها
أحصي أسناني كالصيرفي
أداعبها كالعازفِ قبل فتح الستار
بمجرَّد أن أراها
وألمح سوطاً من سياطها
أو رصاصةً من رصاصاتها
سأضعُ يدي حول فمي

وأزغرد كالنساءِ المحترفات
سأرتمي على صدرها كالطفل المذعور
وأشكو لها
كم عذبني الجوع وأذلَّني الإرهاب

وفي المساء
سآخذها إلى الحواري الضيقه
والريف المصدور
سأجلسُ وإياها تحت مصابيح الشارع
وأروي لها كل شيء
بفمي وأصابعي وعينيَ
حتى يدبَّ النعاس في أجفانها
وتغفو رويداً رويداً
كالجدَّةِ أمام الموقد
ولكن
إذا لم تأتِ
سأعضُ شراييني كالمراهق
سأمدُّ عنقي على مداه
كشحرورٍ في ذروة صداحه
وأطلبُ من الله
أن يبيدَ هذه الأمه .

في الليل

هناك نحلٌ . . وهناك أزهار
ومع ذلك فالعلقمُ يملأ فمي .
هناك طُرَفٌ وأعراسٌ ومهرجون
ومع ذلك فالنحيبُ يملأ قلبي .

أيها الحارسُ العجوزُ يا جدّي
أعطني كلبك السلوقي لأتعقَّب حزني
أعرني مصباحك الكهربائي
لأبحث عن وطني .
من أزقة طويلة كسياط أجدادي
آتي إليك ،
والاستغاثاتُ مصطفَّةٌ في حنجرتي كالمجاذيف
لأشكوَ لك الغبارَ والجماهير
الليلَ والزهور والموسيقى
لأشكو لك ذلك الرصيف :
ما ان شرعت بقصتي
حتى انسل بين الأزقة كالأفعى

وتركني وحيداً . . . وقدماي
تهتزان في الهواء كقدميّ المشنوق
ولذا جئتك مرفرفاً بيدي كالخفاش
لا أعرف أين أمضي هذه الليله
وكل ليله
الأرصفةُ التي أعبرها
تلفظُ خطواتي كالدواء المرّ
الجدران التي أَلمُسها
ترتعشُ تحت أصابعي كالشفاه قبل الزئير
أحسد المسمار
لأن هناك خشباً يضمُّهُ ويحميه
أغبطُ حتى الجثث الممزقة في الصحراء
لأن هناك غرباناً ترفرفُ حولها وتنعقُ لأجلها
آه يا جدي
لقد اشتقتُ للظلم للارهاب
للتعلّقِ بالأغصان بالشاحنات
للتمسّك بأيّ شيء
ولو بقضبان السجون

إنني لستُ ضائعاً فحسب
حتى لو هويتُ عن أريكتي في المقهى
لن أصل إلى سطح الأرض بآلاف السنين .

اليتيم

آه

الحلم . . .

الحلم . . .

عربتي الذهبية الصلبه

تحطمتْ ، وتفرَّقَ شملُ عجلاتها كالغجر

في كل مكان

حلمتُ ذات ليلة بالربيع

وعندما استيقظت

كانت الزهورتغطي وسادتي

وحلمتُ مرةً بالبحر

وفي الصباح

كان فراشي مليئاً بالأصداف وزعانف السمك

ولكن عندما حلمت بالحريه

كانتِ الحراب

تطوّقُ عنقي كهالةِ المصباح .

. . . فلن تجدوني بعد الآن

في المرافئ أو بين القطارات

ستجدونني هناك . . . في المكتبات العامه
نائماً على خرائط أوروبا
نومَ اليتيم على الرصيف
حيث فمي يلامس أكثر من نهر
ودموعي تسيل من قارةٍ إلى قاره .

الوشم

الآن
في الساعة الثالثة من القرن العشرين
حيث لا شيء
يفصل جثثَ الموتى عن أحذيةِ الماره
سوى الاسفلت
سأتكئ في عرضِ الشارع كشيوخ البدو
ولن أنهض
حتى تجمع كل قضبان السجون وإضبارات المشبوهين
في العالم
وتوضع أمامي
لألوكها كالجمل على قارعة الطريق . . .
حتى تفرَّ كلُّ هراواتِ الشرطةِ والمتظاهرين
من قبضاتِ أصحابها
وتعود أغصاناً مزهرة « مرة أخرى »
في غاباتها
أضحكُ في الظلام
أبكي في الظلام

أكتبُ في الظلام
حتى لم أعدْ أميِّز قلمي من أصابعي
كلما قُرِعَ بابٌ أو تحرَّكَتْ ستاره
سترتُ أوراقي بيدي
كبغيٍّ ساعةَ المداهمه

من أورثني هذا الهَلَع
هذا الدم المذعور كالفهد الجبليّ
ما ان أرى ورقةً رسميةً على عتبه
أو قبعةً من فرجة باب
حتى تصطكُّ عظامي ودموعي ببعضها
ويفرّ دمي مذعوراً في كل اتجاه
كأن مفرزةً أبديةً من شرطة السلالات
تطارده من شريان إلى شريان

آه يا حبيبتي
عبثاً أستردُّ شجاعتي وبأسي
المأساةُ ليست هنا
في السوط أو المكتب أو صفارات الانذار
إنها هناك
في المهد . . . في الرَّحم
فأنا قطعاً
ما كنت مربوطاً إلى رحمي بحبل سرّه
بل بحبل مشنقه .

النخاس

الاسم : حشره
اللون : أصفر من الرعب
الجبين : في الوحل
مكان الاقامة : المقبرة أو سجلات الإحصاء
المهنة : نخاس
البضاعة : رمال ذهبية وسماء زرقاء
عواصف ثلجيه
وشواطئُ متعرِّجةٌ لا يحدُّها البصر
لارهاقِ الملاحين ومصمّمي الخرائط

عندي غبارٌ للقرى
رمدٌ للأطفال
وحولٌ للأزقة
وحجارةٌ لصنعِ التماثيل وقمعِ المظاهرات

عندي آباء للتذمر
أمهاتٌ للحنين

أرصفةٌ لبيع الزهور
وغاباتٌ لصنع السفنِ والقباقيبِ وسواري الأعلام

عندي ثلجٌ للعصافير
وخريفٌ للغابات
سعالٌ للأزقه
ونوافذُ عالية لمناداةِ الباعة ، للاستغاثات .
عندي كل شيء أيها السادة
نسور أعقاب سجاير
نشارة خشب
صفائح فارغه
وعندي . . . شعوب
شعوب هادئةٌ وساكنةٌ كالأدغال
يمكن استخدامها
في المقاهي والحروب وأزمات السير
أسرعوا أيها السادة
ها هو الليلُ يقترب
وعليّ أن أنهي صفقتي
قبل غياب الشمس
أخرجوا محافظكم ولا تخيفنَّكم أسعاري :
كلُّ الفتوحات العربيه
مقابل « سرير »
كل نجوم الشرق

مقابل عود ثقاب
لأهتدي إلى أقرب حصاةٍ
أو مسمارٍ في هذا الوطن
أغرسه في صدري كمنقار البجعه
وأموت .

الخوف

أمي . . .
يا ذات النهد الملون كالأكواخ الافريقيه
أسرعي لنجدتي
تعالي وخبئيني في جيبكِ الريفي العميق
مع الابرِ والخيطان والأزرار
فالموتُ يحيق بي من كل جانب
السماءُ تظلم
والريحُ تصفّر
والكلابُ السوداء
تنهشُ الكتب الدامية من حقائب الماره
وأخشى في هذه الأيام المكفهره
أن أستيقظ ذات صباح
فلا أجدُ طائراً على شجره
أو زهرةً في جديله
أو صديقاً في مقهى
أن أوثقَ ذات صباح
إلى المغسلة أو عمود المدفأه

ليدرزَني الرصاص
والفرجون في فمي .
أتوَّسل إليك أن تسرعي يا أمي
وأن تعرِّجي في طريقك
على الحصادين ومضارب البدو
وتسأليهم عن « حجاب » جلديَ
عن « عشبة » ما
تقيني هذا الخوف :
أدخلُ إلى المرحاض وأوراقي الثبوتيةُ بيدي
أخرج من المقهى وأنا أتلفَّتُ يمنةً ويسرة
حتى البرعم الصغير
يتلفت يمنة ويسرة قبل أن يتفتَّح

آه يا أمي
لو أن هتلر بقي رساماً
وماركس قضى في خناق الطفوله
لو أن لويس السادس عشر
كان أكثرَ فحولةً وبطشا
وماري أنطوانيت أقلَّ فتنة وكبرياء
لو كانت قلاع الباستيل على ذرى قاسيون
ووحل باريس على أرصفة دمشق
لو كان الشرق هشيماً
والريحُ أكثر قوةً وذكاء

عندما احترقت روما
آه يا أمي
لو كانت الحرية ثلجاً
لنمت طوال حياتي بلا مأوى

مسافر عربي في محطات الفضاء

أيها العلماءُ والفنّيون
أعطوني بطاقة سفر إلى السماء
فأنا موفدٌ من قبل بلادي الحزينه
باسم أراملها وشيوخها وأطفالها
كي تعطوني بطاقة مجانيةً إلى السماء
ففي راحتي بدل النقود . . . « دموع »

لا مكان لي ؟
ضعوني في مؤخرة العربه
على ظهرها
فأنا قروي ومعتادٌ على ذلك ،
لن أؤذي نجمه
ولن أسيءَ إلى سحابه
كل ما أريده هو الوصول
بأقصى سرعةٍ إلى السماء
لأضع السوطَ في قبضة الله
لعله يحرّضنا على الثوره .

الى بدر شاكر السياب

يا زميل الحرمان والتسكع
حزني طويلٌ كشجر الحور
لأنني لست ممدّداً إلى جوارك
ولكنني قد أحلُّ ضيفاً عليك
في أية لحظه
موشحاً بكفني الأبيض كالنساء المغربيات

لا تضعْ سراجاً على قبرك
سأهتدي إليه
كما يهتدي السكّير إلى زجاجته
والرضيعُ إلى ثديه
« فعندما ترفعُ قبضتك في الليل
وتقرعُ هذا الباب أو ذاك
وأنت تحملُ دفتراً عتيقاً
نُزِعَ غلافهُ كجناح الطائر
وأنت تسترجعُ في ذاكرتك المتعبه
هذه الجملةَ أو تلك

لتقصَّها على أحبابك حول المصطلى
ثم تسمعُ صوتاً يصرخ من أعماق الليل :
لا أحدَ في البيت
لا أحدَ في الطريق
لا أحدَ في العالم
ثم تلوي عنقك وتمضي
بين وحولٍ آسنه
وأبواب أُغلقت بقوة
حتى تساقطَ الكلس عن جدرانها
وأنت واثقٌ أن المستقبل
يغص بآلاف الليالي الموحشه
والأصوات التي تصرخ
لا أحدَ في البيت
لا أحدَ في الطريق
لا أحدَ في العالم
هل تضعُ ملاءةً سوداء
على شاراتِ المرور وتناديها يا أمي
هل ترسم على عُلبِ التبغِ الفارغه
أشجاراً وأنهاراً وأطفالاً سعداء
وتناديها يا وطني
ولكنْ أيَّ وطنٍ هذا الذي
يجرفه الكناسون مع القمامات في آخر الليل ؟ »
تشبَّثْ بموتك أيها المغفل

دافعْ عنه بالحجارةِ والأسنان والمخالب
فما الذي تريد أن تراه ؟
كتُبك تباع على الأرصفه
وعكازُكَ أصبح بيد الوطن

أيها التَّعِسُ في حياته وفي موته
قبرُكَ البطيءُ كالسلحفاة
لن يبلغَ الجنّة أبداً
الجنَّةُ للعدّائين وراكبي الدراجات .

المهذبة في عصر وحشي

كالزنجي النائم ورمحه بيده
أمكث في هذه الأدغال الحجريه
بانتظار شيء ما
فهل أجدُ في غاباتِ روحك العذراء
غصناً متواضعاً
لطائر جريح اسمه . . . قلبي ؟ ؟
سأكسوك بالقُبَلِ كالأضرحه
كالشجرةِ في الربيع
وبين كل قبلة وقبلة
سأنظر شاكراً وممتنّاً إلى السماء
كعصفورٍ ظمآنَ يشربُ من آنيه .
سأدفنُ وجهي بين نهديك الحنونين
وأصرخُ كبدوي ينادي قبيلته

أيتها الحمامةُ التي تزورني
وجناحاهامعقودان كشريطةِ المدرسه
كفاك تحديقاً في راحتي

بحثاً عن خطوط العمر والحظّ والمستقبل
لقد امَّحتْ كلُّها من حمل الحقائب
وشد القلوع في . . «الأحلام»
وعبثاً تتقصين أسرارحزني
من اضبارتي المدرسية
أو رفاقي في المقهى
فحزني لا حسبَ له ولا نسب
كالأرصفه
كجنين وُلِدَ في مبغى

رسالة إلى القرية

مع تغريدِ البلابل وزقزقة العصافير
أناشدُك الله يا أبي :
دعْ جمع الحطب والمعلومات عني
وتعالَ لَملمْ حطامي من الشوارع
قبل أن تطمَرني الريح
أو يبعثرني الكناسون
هذا القلم سيوردني حتفي
لم يتركْ سجناً إلا وقادني إليه
ولا رصيفاً إلا ومرَّغني عليه
وأنا أتبعه كالمأخوذ
كالسائر في حلمه

في المساء يا أبي
مساء دمشق البارد والموحش كأعماق المحيطات
حيث هذا يبحثُ عن حانه
وذاك عن مأوى
أبحث أنا عن « كلمة »

عن حرف أضعهُ إزاء حرف
مثلَ قِطٍّ عجوز
يثبُ من جدار إلى جدار في قرية مهدمه
ويموء بحثاً عن قطته
ولكن . . أو تظنني سعيداً يا أبي ؟
أبداً
لقد حاولت مراراً وتكراراً
أن أنفضَ هذا القلم من الحبر
كما يُنْفَضُ الخنجر من الدَم
وأرحل عن هذه المدينه
ولو على صهوةِ جدار
ولكنني فشلت
ان قلمي يشمُّ رائحة الحبر
كما يشمُّ الذكر رائحة الأنثى
ما ان يرى صفحةً بيضاء
حتى يتوقَّف مرتعشاً
كاللص أمام نافذةٍ مفتوحة
أنام
ولا شيء غير جلدي على الفراش
جمجمتي في السجون
قدماي في الأزقة
يداي في الأعشاش
كسمكة « سانتياغو » الضخمه

لم يبقَ مني غير الأضلاع وتجاويف العيون
فاقتلعنيْ من ذاكرتك
وعدْ إلى محراثك وأغانيك الحزينه
لقد تورطتُ يا أبي
وغدا كلُّ شيء مستحيلاً
كوقفِ النزيف بالأصابع .

شتاء

كالذئاب في المواسم القاحله
كنا ننبتُ في كل مكان
نحبُّ المطر
ونعبدُ الخريف
حتى فكرنا ذات يوم
أن نبعث برسالة شكر إلى السماء
ونلصق عليها
بدل الطابع . . ورقة خريف
كنا نؤمن بأن الجبال زائله
والبحار زائله
والحضارات زائله
أما الحب فباق . .
وفجأة : افترقنا
هي تحبُّ الارائك الطويله
وأنا أحبُّ السفن الطويله
هي تعشق الهمس والتنهداتِ في المقاهي
وأنا أعشق القفز والصراخ في الشوارع

ومع ذلك . .
فذراعاي على امتداد الكون
بانتظارها . . .

الغابة

مغريةٌ كلماتُ الوداع
مغرية . . مغرية كزجاجة السُّم
في راحةِ القائد المنهزم
ولكنها قاضيةٌ يا حبيبتي
إنها تضربُ رأسي
كما تضربُ الحِمَمُ جدار البركان
أقول ذَهَبَتْ
فلتذهبْ
ليست أكثرَ خلوداً من المذابح والحضارات
ولكن
كلماحزمتُ أمتعتي وحاولت الفرار
يقبضُ عليَّ حبُّك كذراع الميت
كالستائرِ الغامضة في أفلام الرعب .

من أغلق كل هذه الأبواب والنوافذ
وترك دمي وحيداً في العراء
ينبح كجروٍ أحمرَ في أزقةِ العروق البشرية ؟

أنت .
من كسى جلدكِ بالقبلات
وزيَّنه كالستائر الأندلسية
بالشعرِ والدموعِ وطعناتِ السياط ؟
أنا .
أنا وأنت يا حبيبتي
حطَّابان مقروران في غابة بائسة
كل منهما يحمل فأساً قاطعه
كحد السيف
ويهوي عليها شجرة بعد شجرة
وغصناً بعد غصن
دون أن ندري
أن هذه الغابة هي . . « حبنا » .

الفائض البشري

أنا الذي لم أقتل حتى الآن
في الحروب أو الزلازلِ أو حوادثِ الطرق
ماذا أفعل بحياتي ؟
بتلك السنوات المتماوجةِ أمامي
كالبحر أمام البجعه ؟
بعد أن ذهبتْ زهرةُ كلماتي
على الرسائل وطلبات الاسترحام
ورُسم مستقبلي
كما تُرسم البطة على لوح المدرسه
هل أعبِّرُ عن أحلامي
بالهمس واللمس كالمكفوف ؟
أم أتركها تسيل على جوانب رأسي
كصمغ الأشجار الاستوائيه ؟
أيتها النوافذ
قليلاً من هواء الغابات
انني أختنق
ورئتاي جاحظتان خارج صدري

كعَيْنَيْ اليتيم
وصوتي ضالٌّ كالرعد
لا يعرف أجيالاً مقبلة ينشدها
ولا فماً قديماً يعود إليه .
أيها البناؤون ادعموني بحجر
إنني أتصدع
كالجدران التي خالطها الغشّ
أنهار
كالقمم الثلجيةِ تحت شمس الربيع
آه
لو يتمُّ تبادلُ الأوطان
كالراقصاتِ في الملهى .

حتى الأغصان ترتجف

كالغربانِ المولية الأدبار
سأصرخ يا حبيبتي
إذا لم تعطيني سراجك في الليل
وذراعك في الشيخوخه
وسريرك في الزمهرير
ولقمتَكِ في المجاعات

سأحشو مسدسي بالدمع
وأملأ وطني بالصراخ
اذا لم تعطيني جناحاً وعاصفه
لأمضي
وعكازاً من السنونو
لأعود
حتى الأغصان العالية ترتجف
عندما أنظر إليها وأبكي

آه لو أن الأيام المتواليه
تنال من روحي وأصابعي وعيني
ما تناله السكين من الثمره
والخريفُ من الأغصان
لأمسي طفلاً صغيراً بطول المدفأه
لأحرق العالم
وأصنع من رماده
كفناً لدراجة صغيره أعرفها
مزماراً حزيناً لوطن قديم أعبده
ثلاثين عاماً
لم أهزّ دميه
لم ينهرني جدّ
لم أتشبثْ بملاءه
لم أبكِ في زقاق
ثلاثين عاماً
لم أرَ علم بلادي مبللاً بالمطر
وأنا أنفخُ راحتي في الزمهرير
وأغني : موطني . . . موطني . . .

بكاء السنونو

إلى : ن. ح

يا من طعنتماني في الظهر
وأنا مكبٌ على أوراقي
كالشيخ فوق سجادته
الذئبُ والأفعى لن يكونا أبداً
حمامتين تحت المطر
المطر لي
المطر والرعد والريح والشوارع
هي ملكي
ومعي وثيقةٌ من السماء بذلك
أحقاً سرتما تحت المطر
وعلى أرصفتي وفي شوارعي ؟
إذن لن أحبَّ المطر بعد اليوم
لا المطر ولا الريح ، ولا القمر ولا الصخور
سأحب شعبي . . .
يا شعبي احتضني
أنت الأبُ الحكيم
وأنا الطفلُ الضالّ

أنت السيلُ الجارف
وأنا الكوخ المتداعي
أعطني فرصة أخيرة وانتظر
سأحبُّ عمالك وفلاحيك
سأعتزُّ حتى ببغاياك وأوحالك
وأطلي بها جبيني كالهندي المحارب
سأقف جامداً كالتمثال عند تحية العلم
وأصرخ كالمجنون في المظاهرات
ولكن لا تقسُ عليَّ يا شعبي
هجرتُك لأنك هجرتني
تجاهلتُك لأنك تجاهلتني
ولكنني أقسم بكل جليلٍ ومحرّم
ما نسيتُك في يوم من الأيام
وأنا غارق في الهموم والنقاشات
عن السأم والأزياء الفاضحه
كنت أفكِّر بخرافك الهزيله
ومرضاك المكدسين في الممرات .
وأنا أشعل اللفائف للمدعوين
وأقهقه ساخراً في الحفلات
كنت أفكر بقراك الموحله
وعجائزك المترنحات على ضوء القناديل
هيّا . .
كلانا أساء للآخر
لنجرحْ أصابعنا كيفما اتفق

وليشربْ كلٌّ منا قطرةً من دم الآخر
ولنتآخى
لنخلط دموعنا وهمومنا كالنقود المسروقه
ولنمضِ وحيدين
ضدّ الزمن ضد العاصفة
والندوب تتحرك على جباهنا
كعقارب الساعات . . .

الهضبة

لا تصفعْني أيها القدر
على وجهي أمتارٌ من الصفعات
ها أنا
والريح تعصف في الشوارع
أخرج من الكتب والحانات والقواميس
خروجَ الأسرى من الخنادق .

أيها العصرُ الحقير كالحشره
يا من أغريتني بالمروحةِ بدل العواصف
وبالثقاب بدل البراكين
لن أغفر لك أبداً
سأعود إلى قريتي ولو سيراً على الأقدام
لأنثر حولك الشائعات فور وصولي
وأرتمي على الأعشاب وضفاف السواقي
كالفارس بعد معركة منهكه
بل كما تعبر الكلابُ المدربة حلقاتِ النار
سأعبرُ هذه الأبواب والنوافذ

هذه الأكمام والياقات
محلقاً كالنسر
فوق خفر العذارى وآلام العمال
باسطاً جناحي كالسنونو عند الأصيل
بحثاً عن أرض عذراء
كلما لامسها كوخٌ أو قصر
أميرٌ أو متسول
وثبتْ جامحةً في الهواء
كالفرس الوحشية اذا مسَّها السرج .
أرض ،
لم توجد ولن توجدَ إلا في دفاتري .
حسناً أيها العصر
لقد هزمتني
ولكنني لا أجد في كل هذا الشرق
مكاناً مرتفعاً
أنصبُ عليه راية استسلامي .

ذكرى حادث أليم لم يقع

فيما كنت أتسكَّعُ تحتَ الأشجار المزهرة
مع مذكراتي وغليوني
كبطلٍ عجوزٍ يتريَّض في منفاه
لمحتُهم يهرولون في العواصف الثلجيه
نصفهم معاطف
ونصفهم عباءات
يرشقون الوحل بنعالهم كالرصاص
وكل منهم يشبِكُ أصابعه فوق رأسه
ويصرخ :
النجدة . . النجدة
أنا دفتر
أنا ثائر
أنا كاتب عدل
أنا هاتف
أنا ساعي بريد
وأنا أجثم على جدران المدينه
كسلَّم الحريق

وسيفي مغروس حتى قبضتِهِ
في نخاع الباستيل .

مروحة السيوف

في المدن يستعملون المراوحَ والمرطبات
أما في الصحراء ، فماذا يفعلون
غير انتظار العاصفة ؟
ولكن أين العاصفة ؟
لا القلوعُ البيضاء تعرف
ولا الراياتُ الذابلةُ على التلال
أن العاصفةَ هناك
مترددةً وراء الأفق البعيد
كالبغيّ أمام عتبةِ الفندق
والنسرُ العجوز
آخرُ نسرٍ في التاريخ
ينتظرها وحيداً وصامتاً كالحوذي
امضِ إليها أيها النسر العجوز
وكفاك تذوقاً
لفضلاتِ السُحُب والعواصف الغابره
كالطاهي القديم
فالعاصفةُ قد لا تنهي زينتها قبل أجيال

ولكن كيف يمضي إليها
ومنقاره مهترئٌ كإبهام الحذّاء
كيف يسرع
وهو يترنح كدراجةٍ تعبر النهر .

عاماً بعد عام
والريشُ الأبيض يتّسخُ على صدره
كفُوَط الخدم
جيلاً بعد جيل
والنسيماتُ الصغيرة تدفعه
من صخرةٍ إلى صخره
ومن سهلٍ إلى آخر
وهو مشيحٌ عنها ، مستسلم لها
كبغيٍّ في معسكر
انه يحنُّ إلى معركةٍ أخيره
مع القدر
مع العاصفة
مع « ذبابة »
بهذه المخالب المتآكله
والمنقار الذي كاد يستقيم
من كثرة ما ضربه على الصخور
في ساعات الذكرى :
فيما مضى

كان يفتلُ جناحيه كالأبّ الشرقي
يفتحهما كالأكمام الريفية المطرزه
ويهيمُ فوق المدن والقارات
بينما السُحُبُ والعصافير الصغيره
تركض وراءه لاهثةً
كالغوغاء في مواكب الملوك .
فيما مضى
فيما مضى
أما الآن
فلا شيء
غير الأسى والذكريات .

كنس الغبار بجناحيه المتعبين
وربضَ تحت العوسجِ الذابل
كقاطع الطريق
موقناً أن العاصفةَ ستأتي
وأن أسنانها الغازية
سوف تلمعُ عما قريب
كأضواء السُفن ومشاعل الثورات
وقد صمَّم على المعركة
بكل هزاله وأنقاضه
حيث الصحراءُ مقفره
والمعركة بلا هتاف أو شهود

وطال انتظاره في الهجير
وفيما هو يكبو رويداً رويداً
كمسافر عجوز على طريق وعرة
ومخالبه تسيل كالحلوى الرخيصة على الرمال
مرَّت به نسمةٌ باردة كالينبوع
فتنهَّدَ منتشياً
كالمراهقِ وقد مسَّته امرأة
وتابع الرقاد من جديد . .
تحت شمسٍ لاهبة
وعزلةٍ طويلة كالدهر .
وفجأة أظلم الأفق
وتمايلت العوسجة
وارتفع الذيلُ المتسخ بالعرق والدم
وانطلق الذبابُ الدفينُ في الجراح
مدوّماً لا يلوي على شيء
فانتفض قلبه من الفرح
وأخذ يقفزُ هنا وهناك
كخروفٍ يسعى لملاقاة أمه
العائدة من المرعى
لقد أقبلت :
سريعة ومدوِّمة كراقصةٍ على الجليد
قطار أحول من الطعنات
ينشد كبد الأرض للمرة الأولى

فليستفدْ من كل حبة رمل
وضربةِ مخلب
وليخرجْ من المعركة منتفخاً
فالعاصفة كالحصباء . . كموسيقى النصر
تأتي مرَّةً واحدةً ولا تعود
والنسر بلا قمةٍ أو عاصفه
كالعروس بلا أقراط أو دموع .

فتح منقاره خلسةً كصيَّاد الفراشات
وتراجع بحذر واحترام
كتلميذ أمام أستاذه القديم
. . . وأنشبه في العاصفه
في الرمال . . في الدماء . . في المسارح
في القبلات المذعوره
والخواتم التي تحمل شعر السلاميات ،
في اللاشيء
وراح يدورُ كالمغزلِ وسط ريشه الممزَّق
وصيحاتُهُ المدوِّيةُ كطلقاتِ الرصاص
كتلةٌ من الدم والأبهه
تحاضر من وراء طاولة الصحراء
في فنّ العطش وتمزيق الأوصال
في الحلم الذي أتاه على طبقٍ من الهجير
خانقاً وحنوناً كالقبلات

وقد آن لأجملِ أسير في التاريخ
أن يزدردَ خرزه الأحمر خارج الأقفاص
أن يضع السلالم على كتف العاصفه
ويقطف ثمار حزنه كالبستاني

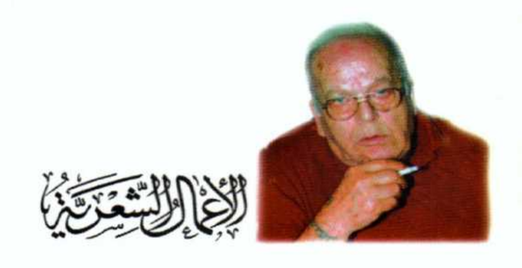
ولكن العاصفة كانت تهزُّ كتفيها
كالراقصةِ الشرقيه
تتمنَّعُ عليه كالمومسِ المحترفه
أمام مراهقٍ غرّ
حتى إذا ما سنحتْ لها الفرصه
فتحتْ باب الأفق . .
وولَّتْ الأدبار
فجُنَّ جنونه
وراح يثبُ كالهرّ
كطفل مذعور يحاول عبثاً
بلوغ مطرقة الباب
وهو يرى كل شيء ينحني ويميل
الشمس والرمال والجراح
والأفق إلى جواره مجوَّف ومقزز
كالرحم بعد الولادة
ولحق بها مرغياً مزبداً
كسكير يحاول اقتحام الحانه
بعد أن طرد منها مئات المرات

ولكن دون جدوى
لقد أسدلت العاصفة ستائرها
وأغلقت سجل الزوّار
وهنا بكى النسر العجوز
ورفع مخالبه كالأصابع المتضرعه
وراح ينتحب كالأطفال .
وبعد آلاف الأميال
وبعد كل ذلك الزهو والبطش الجارف
هَوَتِ العاصفةُ على شاطئ البحر
ووجهها ممزق كوجه الملاكم
لقد أقفر الصدر من النهود والأوسمه
وجُرِّدَتِ العروسُ من الخواتم والمرايا
واتكأتْ على الصخور
كسكّيرٍ أمام مغسله
لقد كان في أعماقها ألمٌ مميت
أظافرُ صغيرةٌ وصيحاتُ حاده
أخذتْ تنبعُ كالنمل
من ثقوبِ الأنفِ والأذنينِ والبلعوم
لترقصَ كالغجر
على ظهرها المقوس والرهيب كالجسر

من أين ينبعُ هذا الألم ؟
هذه الطعناتُ المشتعلةُ كنيران الأعراس

من غطّى كفلها البربري
بهذه الجراح الغزيرة والندية كأهدابِ العاشق ؟
وفيما هي تكبو رويداً رويداً
كمذنب يعترف بكل شيء
تذكَّرَتْ أن ثمَّةَ جداً قديماً
لكلِّ هذه الجراح والآلام
كان ينبشُ أعماقها كالكنز
ثمة شيء صغير كالبرغوث
قاومَ وناضلَ حتى الموت
ولابدَّ أن كلَّ هذه الآلام القاتله
وهذا الريش والصيحات المتراكمه
على فوهاتِ الجراحِ
من ذلك الشيءِ الصغير كالبرغوث
وفجأةً انطرحتِ العاصفه على قفاها
كخيمةٍ كبيرةٍ بحجم العالم
ثم تقلَّصَتْ بحجم المنديلِ وماتتْ
ودموعُها تسيلُ على هيئة نسر .

الفهرس



يعتبر محمد الماغوط من أبرز الثوار الذين حرروا الشعر من عبودية الشكل. دخل ساحة العراك حاملاً في مخيلته ودفاتره الأنيقة بوادر قصيدة النثر كشكل مبتكر وجديد وحركة رافدة لحركة الشعر الحديث. كانت الرياح تهب حارة في ساحة الصراع، والصحف غارقة بدموع الباكين على مصير الشعر حين نشر قلوعه البيضاء الخفاقة فوق أعلى الصواري. وقد لعبت بدائيته دوراً هاماً في خلق هذا النوع من الشعر، إذ إن موهبته التي لعبت دورها بأصالة وحرية كانت في منجاة من حضانة التراث وزجره التربوي. وهكذا نجت عفويته من التحجر والجمود. وكان ذلك فضيلة من الفضائل النادرة في هذا العصر .

سنية صالح

ISBN:2-84305-849-X

